الاستنارة

من الاستظلام إلى الاستجلاء

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس، ليبيا
2023

الاستنارةُ

(مِنَ الاستظلامِ إلى الاستجلاءِ)

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

المحتويات

المقدِّمةُ 3
الاستنارةُ 5
الاستنارةُ دراية 29
استنارةُ العقلُ 40
الاستنارة حُسن تدبُّر.. 67
الاستنارة استذكار وعي 88
الاستنارةُ تفكُّرًا.. 99
الاستنارة تُمكِّن مِنْ رفعةِ السِّيادة: 116
الاستنارة تطلُّعًا.. 134
صدر للمؤلّف.. 147
المؤلّفات.. 149
المؤلّف في سطور 170

المقدِّمةُ

نظرًا لاختلاف التفسيرات لمفهوم الاستنارة، أقدِّم مؤلَّفنا هذا إلى القرَّاء الكرام والبحَّاث الجادين، بمزيدٍ من الإيضاح الموضوعي، والتفسير المنطقي مع وافر الدّليل والحُجَّة.

ولأنَّها الاستنارة فهي لا تكون إلَّا نُقلة من بعد حالة من الاستظلام، التي كانت من وراء انعدام الرُّؤية؛ نُقلة كان من بعدها الاستجلاء وضوحًا، وكأنَّ كلّ شيء وقد وضع على الطَّاولة ولم يعد تحتها شيئًا مخفيًّا.

وفي هذا المؤلَّف تمَّ تبيان الفارق المفاهيمي بين عدّة مفاهيم كانت متداخلة، غير أنَّ الفارق بينها وتلك التفسيرات أصبح كبيرًا؛ وكان ذلك بعد مجهودٍ معمّق قراءةً وتفحّصًا مع مراجعة جادة لتلك المتغيرات المتداخلة بين:

. الظُّلمة والتظلّم والاستظلام.

. الاستنارة والاستضواء والاستجلاء.

. الدّراية والعلم والمعرفة.

. الجهل والأميَّة والاستغفال.

. التذكّر والتفكّر والتفكير والتدبُّر.

ولأنَّ الاستنارة لا تكون إلَّا وعيًّا وعن دراية فقد تم تبيان ذلك مع إظهار خصوصيّة كل منها، ودون غفلة عن تلك العلاقات التي يشترك فيها المفهوم مع غيره من المفاهيم.

ولأنَّها الاستنارة ولا تكون إلَّا عن وعيٍ ودرايةٍ، فهي لا يمكن أن تكون إلَّا وفقًا لتلك العمليَّات العقليَّة التي يديرها العقل استنارةً؛ ولذا فإنَّ العقل الذي يدير تلك العمليَّات استنارةً سيكون أوَّل المستنيرين، ثمَّ من بعده تعمّ الاستنارة النَّفس والقلب.

ولأنَّها الاستنارة فهي ذات علاقة بالمستقبل وصُنعه، وذات علاقة بالهدف وإنجازه، وذات علاقة بالغرض وتحقيقه، وذات علاقة بالغاية وبلوغها، وذات علاقة بالمأمول ونيله.

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2022م

الاستنارةُ

(مِنَ الاستظلامِ إلى الاستجلاءِ)

الاستنارة هي استجلاء الاستظلام وبقاء النُّور مرشدًا، لمن شاء الاهتداء بنوره؛ ومن ثمَّ تزاح العتمة التي تحول بين نفاذ النوُّر ومن هم في حاجة إليه؛ حتى يسترشدون.

ومن هنا علينا أن نميّز بين المفاهيم الثَّلاثة (الاستنارة– الاستظلام– الاستجلاء):

. مفهوم الاستنارة: أخذٌ مِن نُورٍ وليس مِن ضوءٍ.

. مفهوم الاستظلام: أخذٌ مِن ظُلمةٍ وليس مِن ظُلمٍ.

. مفهوم الاستجلاء: أخذُ من تجلٍّ وليس مِن إجلاءٍ.

ولهذا فإنَّ الضوء يزيح الظُّلمة من حوله، أمَّا النُّور قطعًا أينما حلَّ لا تحلّ الظُّلمة؛ وهكذا بالتمام يصبح الاستجلاء وضوحًا من بعد نور، وفي المقابل يوجد الاستظلام عندما يغيب الاستضواء، ولذا فنحن بحثًا نميّز بين المفاهيم المتضادة (الظَّلام مقابل الضوء) أمَّا (الاستظلام فمقابل الاستضواء).

وبناء على ذلك لا يمكن أن يكون مفهوم الاستضواء هو بالتمام مفهوم الضّوء؛ ذلك أنَّ الضّوء يدل على وجود مصدر للإضاءة، أمَّا

الاستضواء فيدلُّ على الانشراح والتجلّي في ذات الشيء سواء أكان قمرًا أم زيتًا أم شخصًا.

ومع أنَّ الاستنارة استمداد النُّور من مصادر نوره، فإنَّها لا تكون إلَّا عن علمٍ أو دراية، ومع ذلك العلم ليس بالدِّراية؛ فالعلم لا يكون إلَّا من عليمٍ أو عالمٍ، أمَّا الدِّراية فلا تكون إلَّا من دارٍ ومدرٍ، ومن هنا علينا أن نفرِّق بين مفهوم الدَّاري، ومفهوم المدري.

ـ الدَّاري: مصدر الدِّراية؛ إذ لا شيء يُدرى به إلَّا من عنده.

ـ المدري: الذي ألم بالدِّراية.

المدرى: الذي تمت درايته من الدَّاري.

المدرى به: النبأ أو الرِّسالة أو العلم أو الحكمة أو الأمر (أيُّ أمر).

ومن ثمَّ يكون مفهوم درى: بمعنى المَّ، ومفهوم يدري: مُلم، أمَّا مفهوم الدّراية، فهي: الالمام بالشيء وما يتعلَّق به من أمرٍ؛ قال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ}[1]، والنُّور هنا ليس نور قمر أو نور زيت أو شيء من ذلك، بل النُّور هنا هو محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، أمَّا الكتاب المبين فهو القرآن.

ولأنَّ محمَّدًا نورٌ من الله؛ فإنَّه لا هداية خاتمة ألَّا به وبنوره والكتاب المبين، ولهذا فنور محمَّد: يسري في العقل نورًا، وفي القلب نورًا، وفي النَّفس

[1] المائدة 15.

نورًا، وفي الروح نورًا؛ ذلك لأنَّ نور محمَّد مستمدّ من نور الله: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[2].

ولأنَّه لا نور إلَّا من الله؛ إذن فمن يستمدّ نوره من الله فنوره لا يطفئ: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[3]، ومع أنَّ بعض الأضواء بالأفواه نفخًا تطفئ فإنَّ النُّور لا تطفأه الأفواه وإن نفخت؛ ومع ذلك فإنَّ المقصود بالنوّر في هذه الآية الكريمة هو نور الحقّ المبين، أي: يريدون أن يبطلوا قول الله وهو الحق الباقي الذي لا يمكن للباطل أن يبطله؛ ولذا فمن يستنير صدره بالحق المنزّل فلا يكون على الاستنارة إلَّا وصدره مشروح بالإسلام: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[4].

وعليه فإنَّ الفارق كبير بين مفهوم الاستنارة، التي لا تكون إلَّا عن استجلاءٌ بيّنة ورؤية؛ حيث لا استظلام، وبين مفهوم الإنارة التي لا تكون إلَّا في وسط ظلمة؛ ومن هنا فالآيات السَّابقة لا تتحدّث عن الظلمة

---

[2] النور 35.

[3] التوبة 32.

[4] الزمر 22.

ومعكوس مفهومها ضوء، بل تتكلَّم عن النُّور الذي به تستنير العقول والقلوب والأنفس.

ومن ثمَّ فإنَّ مفهوم الاستظلام ليس بمفهوم الظُّلمة؛ ذلك أنَّ الاستظلام لا يعني إلَّا انعدام المعرفة الواعية، التي كما تمكّن من التمييز فهي تمكّن من الاتباع أقدامًا أو إحجامًا.

إذن فمفهوم الاستظلام يعني مما يعنيه عدم الوضوح، ولهذا فعدم الوضوح يتطلّب استنارة، سواء أكانت الاستنارة بحجّةٍ أم برهانٍ أم بدليلٍ، أمَّا الظلمة فلا تزول إلَّا بضوءٍ؛ ولذا فحال الاستظلام كحال من تاه في الصَّحراء نهارًا وقد دار رأسه، فلم يستطع أن يميّز بين الاتجاهات وكأنَّ الشّمال ليس بالشّمال، ولا الجنوب بالجنوب، وهكذا استظلم الأمر عليه فلا يستطع أن يميز بين اتجاهي الشّرق والغرب.

ومن ثمَّ نقول: إنَّ الاستظلام حيرة عقليّة ترهق عقول المفكرين حتى تقتنص عقولهم حلًّا يخرجهم من التأزُّمات، التي من بعدها سيرون الحقيقة ماثلة أمامهم وعيًا واستنارة.

ولأنَّ الاستنارةُ لا تكون إلَّا عن وعيٍ ودرايةٍ؛ فهي ترشد إلى ما يجب اتباعه، وترشد أيضًا إلى ما لا يجب اتباعه؛ ومن هنا فالواعون لا يقدمون على مخالفة منظومة القيم التزمًا بقيدها خُلُقًا، وفي المقابل عقول غيرهم ممن هم دونهم قيمًا لا تخشى قيد القيم، بل تقدم على كسره دون أن تنتظر وقتًا؛ وبذلك أحوالهم تتأزَّم، وعقولهم وأنفسهم تستظلمُ.

ومع أنَّ الاستظلام حيرةُ عقل، وعدم وضوح رؤية؛ فإنَّ الاستظلام ليس بتظلُّمٍ؛ ذلك لأنَّ التظُّلم اشتكاء بغاية طلب الإنصاف وسيادة العدالة، وفي المقابل الاستظلام التماس عذرٍ في زمن انعدام المعرفة الوافية.

إذن: الاستنارة بالشّيء استدلال به واسترشاد، وفي المقابل الدِّراية إلمام تام بما يجب أن يكون ظاهرًا للمشاهدة أو مختبئًا للملاحظة؛ ولهذا فالدّراية حُجَّة بيِّنة (يقين)، أمَّا الاستنارة تبيُّن بالبيِّنة (عن يقين).

وعليه فمفهوم الدِّراية يدلُّ على الإلمام التام ولا شيء مجهول، وفي المقابل مفهوم العلم يدل على المعرفة النسبيَّة، أمَّا الاستنارة فهي نتاج النسيج علمًا ودرايةً؛ ولهذا فمعارف المستنير وعلمة أوسع من معارف المتعلّم وعلمه؛ ومن هنا فالمستنير هو من المَّ بعلم الدِّراية حتى تغيَّرت أحواله وفقًا لما هو متوقّع وغير متوقّع؛ ذلك لأنَّه أصبح يدري بكلّ ما ألمَّ به، أمَّا المتعلّم فمهما تعلّم فلن يدري إلَّا تخصُّصًا في دائرة المتوقّع؛ أي إنَّ العلم والتعليم لا يخرج عن دائرة المقررات المنهجيَّة، أمَّا الدِّراية فلا تقف عند حدّ العلوم الممنهجة، بل تتجاوزه إلى كل ما من شأنه أن ينير العقول والأنفس؛ ومن هنا أيضًا فإنَّ المدري على مقدرة لإنارة عقول الغير كما هو حال الأنبياء الكرام الذين دروا وأدروا.

إذن: العلم سيكون معرّضًا إلى النسيان والتبدّل، أمَّا الدّراية فلا نسيان؛ وذلك أنَّ العلم يلامس العقل، أمَّا الدِّراية فتلامس العقل والفكر معًا؛ ولهذا

متى ما تمكّن الإنسان من الدِّراية تغيّرت نفسه وتغيَّرت أحواله، وفي المقابل المتعلّم يمكن أن تتغيَّر أحوله ولكنَّ نفسه قد لا تتغيَّر.

ولمزيدٍ من التوضيح أقول:

. العلم لا يزيد عن كونه ملاحقة بين معلومٍ حاضر ومعلومٍ مفترض، أمَّا الدِّراية فتلاحق المعلوم والمجهول بالمرتقب يقينًا؛ أي في الوقت الذي يلاحق العلم فيه الجهل ليحل محلّه، تلاحق الدِّراية فيه الأميَّة لتحل محلّها.

ولهذا فعندما تظل الشُّعوب منتظرة لاستيعاب الثّقافة بغاية كسر قيدها، فإنّها ستكون في حاجة لمزيدٍ من الوقت؛ وفي المقابل عندما تعي الشُّعوب الحقيقة تُصبحُ قادرة على تجاوز الواقع وإحداث النُّقلة؛ ومن ثمَّ فزمن الانتظار لن يجد مكانًا له ليحل فيه أمام الدّراية التي بتجاوزها لزمن الأميَّة تتجاوز زمن الثّقافة والوعي؛ فالدّراية تجاوز معرفي لكلِّ ما من شأنّه أن يوصف أميَّة، وهي التي تحدثُ النُّقلة من معرفة الممكن ولو كان صعبًا إلى معرفة المعجز والمستحيل.

ولذا فالمستنيرين متى ما كشفوا حقيقة حُكَّامه على المفاسد، ثاروا على زمنهم بلا رأفة، وطووا صفحاتهم وعيًا واستنارة، ومع أنَّ الثقافة استنارة عقلٍ، فإنَّها أمام العقل قيدٌ على ما ينبغي اختياره والإقدام عليه، وما لا ينبغي اختياره والإحجام عنه؛ ومن هنا فعندما تغيب الدّراية يصبح زمن الانتظار معطية من معطيات الأميَّة التي لا تملَّ من الانتظار وإن طال زمنه، ولهذا فالزّمن قادرٌ على قيد الأميّة وتجاوزها وعيًا، أمَّا الأميَّة فلا إمكانيّة لها بذلك؛

ذلك لأنَّ أهل الأميّة غير قادرين على إحداث النُّقلة وصُنع المستقبل أملًا ومأمولًا.

ولأنَّ الوعي استنارة لا يقيده الزّمن فهو العقل ولا قيد عليه، وفيه يتساوى الأمي معرفة مع من يدري ويتدبَّرَ؛ أي: يتساوى الأمي فيه مع من تعلّم وتثقّف ودرى؛ قال تعالى: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}[5]، في هذه الآية الكريمة ارتبطت الأذن مع الوعي ولم تستقلّ عنه، وهنا فهي الأذن المميّزة لما تسمعه أو تنصت إليه؛ إنَّها المميزة بين المسموع معرفةً والمتجاوزة له؛ كونها الأذن الواعية التي لا تأخذ بالمسموع إلَّا دراية.

ولأنَّ الوعي يُمكّن من معرفة الحقيقة المراد البحث عنها، فإنَّه المؤدّي إلى الفطنة الممكِّنة من التمييز واتخاذ القرار المناسب حتى وإن كان صاحبهُ أميًّا، فالحقيقة كما يلمّ بها الأمي ويعرفها يلمّ بها كلًّا من المتعلّم والمثقّف ويعرفانها، وبخاصّة في الزّمن الذي لا شيء فيه يُخفى؛ إذ كلّ شيء على البلاطة.

والوعي لا يقتصر على المتعلّمين والمثقّفين، بل الأميون لهم من الفطنة ما لهم؛ ذلك لأنَّ الوعي والفطنة لا يقتصران على من تَعلّم، فمع أنَّ المتعلمين تحصَّلوا على رخص قيادة (شهادات ومؤهلات جامعيّة وعليا) فإنَّ بعضهم لا يستطع أن يقود ما رُخّص له قيادة وسط الازدحام.

---

[5] الحاقة: 12.

ولهذا فالوعي ليس دائمًا مولود تعليمٍ، فمن المتعلّمين مَنْ لا ثقافة لهم ولا وعي ولا دراية، وفي المقابل من الأميين ما لهم من الحكمة والمعرفة ما لهم، ومع أنَّ كيفيَّة البحث والتقصي عن الحقيقة في المدارس والجامعات منهجيًّا تُعلّم، فإنَّ الحقيقة عبر التَّاريخ تروى وتسمعها أذنٌ واعية.

ومع أنَّ الأذن الواعية تسمع فتتعظ وتتدبّر، فإنَّ الأذن غير الواعية وإن سمعت فإنَّها لا تتعظ ولا تتدبّر؛ ولهذا جاء قوله تعالى (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)، ففي هذه الآية الكريمة جاء الوعي مرتبطًا بالسّمع ولم يأتِ مرتبطًا بالأذن السَّامعة؛ إذ جاء ارتباط الأمر بالسّمع وليس بالأذن؛ ذلك لأنَّ الوعي مقدرة على التمييز بين ما يجب وما لا يجب أخذًا وانتهاءً.

ومع أنَّ الأذن في دائرة الممكن تسمع ما يقال أو تستمع إليه، فإنَّ الأذن الواعية لا تأخذ بكل ما تسمعه، فهي وإن سمعت قادرة على الغربلة والتفحّص والتمييز؛ ولذا فبمعرفة الحقيقة يستوي وعي الأمّي مع وعي من تعلَّم وتثقّف ودرى؛ ومَن غفل منهم بأيّ علّة فقد استوى في غفلةٍ مع غيره؛ ومن هنا فالعقل قيد أمّيّة ودراية.

ولذا فالعقلُ دراية هو تلك الحيويّة المستنيرة وعيًا، وهو الذي يعلم بالشيء بعد أن كان لا شيء وكان مجهولًا، كما أنَّه يعلم الحكمة التي تُخفي من ورائها سرًّا.

والعقل دراية ليس ذلك العقل الممنهج برؤية تعليميَّة وثقافيَّة، بل هو ذلك العقل المتجاوز لدائرة الممكن تحدٍّ وخوارق، إنَّه العقل الممكَّن من

دخول دائرة المعجز؛ ومن هنا فالأنبياء والذين يلمُّون بالمنزّل ويؤمنون به هم أصحاب العقول الدَّارية.

ومع أنَّ الدِّراية عمليَّة عقليَّة فإنَّ مَن تمكَّن منها تمكَّن من طي صفحات الأميَّة إلى الأبد، ومع أنَّ الدّراية لا تُعلّم فإنَّ علومها تُعلَّم؛ فذلك النبي الأمي محمَّد -عليه الصَّلاة والسَّلام- بعد أن أعلمه الله بالمعجزات أصبح نبيًّا يعلم ما لم يعلمه غيره، ومن هنا أصبح محمّدًا نبيًّا ومعلّمًا يعلم ويعلِّم غيره ما أُنبأ به إنباءً.

ومن ثمَّ فالذي لا يعلم بالشّيء لن يكون له من الشّيء شيئًا به يدري؛ ولهذا فلا علاقة بين الأمّيِ وعدم معرفة القراءة والكتابة، فهذه العلاقة لا تكون إلَّا بين الجهل والتعلُّم، أو بين التيه والمعرفة، أمَّا الأميّة فليس لها علاقة إلّا بعدم الدِّراية؛ ولذلك فالنَّبيُّ الأميّ هو الذي أُنبأَ بما لا يدري حتى أصبح نبيًّا يدري، وهذه معجزة وقد وُهبت لمحمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام.

وعليه: إنَّ الأميّة حالة غير دائمة وهي قابلة للمحو من عقول الجميع في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فمن يكن أميًّا يمكن أن يصبح في دائرة الممكنِ عالمًا فلا استغراب؛ وإذا كان بالعلم تستنير العقول وتطمئن الأنفس والقلوب، إذن: فما بالك باستنارة النبأ اليقين الذي نسخ أميَّة محمَّد بعد أن أمره الله بقوله: (اقرأ) فقرأ باسم الله ما لم يكن يقرأ ويعلم؟!

ومن هنا: فالإنسان الذي يعرف ليس بالضرورة أنَّه يدري، فعلى سبيل المثال: الأميون مع أنَّهم يعرفون ما يعرفونه من شئون وأمور فإنَّهم لا يدرون

بقوانينها، ولا يدرون بالأسرار التي تختفي وراءها، وهكذا العلم لا يكون إلَّا في مواجهة الجهل مما يجعل المتعلّمين يعلمون ما يعلمونه ولكنَّهم مهما علموا فهم لا يبلغون علم الدّراية الذي وحده يُمكِّن من معرفة الحكمة وما تخفي مِن ورائها مِن سرٍّ.

ولذا فالنّبي محمَّد قبل الرِّسالة لا دراية له بها (أمّي)، ومِن بعدها أصبح يدري (نبيّ)؛ ومن ثمَّ فمفهوم الدّراية يدلُّ على: (الإلمام بعلم اليقين؛ حيث لا شيء يخفى، ولهذا فالأميّة قيدٌ وهي أعظم أثرًا من الجهل.

وعليه: فإنَّ علم الدّراية لا يأتي إلَّا من خارج العقل؛ ومن ثمَّ لا يمكن أن يكون من بناة أفكاره، فعلى سبيل المثال: أمر الوحي الموحى لا يأتي إلَّا من خارج العقل (من السّماء إلى الأرض)؛ ولأنَّه يأتي من خارج العقل إليه من السَّماء فلا أحد يعلم أو يعرف أو يدري شيئًا من ذلك؛ ولهذا فالكل أميٌّ بأمر السّماء، وما محمَّد إلَّا واحدٌ من الأميّين بأمرها إلى أن أعلمه الله، وأنبأه بالأمر: (كن)، فكان محمَّدٌ قارئًا بالأمر: (اقرأ) فقرأ.

ولأنَّ محمَّدًا لم يعد أميًّا بأسباب امتلاكه الدِّراية بعد أن قرأ دون سابق قراءة، فيجوز له حقّ النهي عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}؛ ولذا عندما كان محمَّدٌ أميًّا لم يُعط له هذا الحقّ، أو هذا التفويض، أو هذه الصلاحيَّات كما تسمى لدى البعض تحت مظلة لغة العصر، وإلا هل يُقبل أن يكون أمر التصرّف بأمر الطَّاعة بيد من لا يعلم الأمر ومعجزاته؟

وهل يُقبل التحليل والتحريم والنّهي ممن لا يعلم بما يأمر أو ينهى أو يُحَلِّل أو يُحرِّمُ؟

هنا أقول: بالطّبع، لا.

فمحمَّد -صلّى الله عليه وسلّم- بعد أن قرأ بأمرٍ من الله -تعالى- فهو القارئ وليس الأميّ، أي: إنَّ محمَّدًا قد كسر قيد الأميَّة؛ ولهذا لم يعد حاله كما كان قبل الرِّسالة، وعليه: الكلام أو التحدّث عن محمَّد قبل الرِّسالة كلامٌ أو حديثٌ عن أميّ، والكلام أو التحدث عن محمَّد بعد الرِّسالة -صلى الله عليه وسلم- حديث أو كلام عن رسول يعلم؛ ولذلك علينا أن نُفرِّق بين الحديثين والشّخصيّتين (شخصيّة محمَّد الأميّ، وشخصيّة محمَّد الرَّسول النبي الذي أصبح يَعلم) وإلّا هل يُقبل أن يوصف النبي الكريم بالأميّ، ويوصف الذين آمنوا وتعلموا على يديه بالعلماء والحكماء؟!!

وكيف يُقبل أن يكون محمَّدٌ هو صاحب الرِّسالة الخاتمة للنّاس كافَّة ويقبل أن يوصف بالأميّ؟

وكيف لا نكتشف التناقض في الأمرين:

الأمر الأوَّل: أمرُ محمَّد الأميّ.

الأمر الثَّاني: أمر الذين تعلموا مما علّمهم به حتى أصبحوا علماء وحكماء؟

وعليه: هل يقبل أن يكون للرّسالة مرجعيّة ورسولها أميّ؟

ولأنَّ محمَّدًا –عليه الصَّلاة والسَّلام– رسول للنَّاس كافَّة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاس إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[6] أي: إنَّ محمَّدًا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لم يكن رسولًا خاصًّا بالعرب، بل هو الرَّسُول الخاتم وللكافَّة: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاس إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ}[7].

إذن: كيف يُقبل أن يكون رسول الكافَّة أميًّا والنَّاس على يديه علماء وحكماء ويعلمون؟!

أقول: رسول الكافَّة ليس بأميّ، بل هو بما أُعلِمَ عَلَّم وبشَّر وأنذر وحرَّض وحلل وحرّم وأمر ونهى، وهو قبل الرِّسالة محمَّد الأميّ، وبعدها محمَّد رسول ونبي؛ ولذا فالفرق كبير بين محمَّد الأميّ الذي لا صلاة ولا تسليم عليه في زمنها، ومحمَّد الرَّسول النبي الذي يصلّي الله وملائكته عليه، ومن بعده يصلي عليه ويسلم المؤمنون الذين أسلموا وجوههم لله ربّ العالمين؛ قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[8]. الأميّون في هذه الآية الكريمة لا تعني الذين لا يقرءون ولا يكتبون، بل تدلُّ

6 الأعراف: 158.

7 سبأ: 28.

8 الجمعة: 2.

على أنَّ الأميّة هي: (في دائرة النسبيَّة)، وإلَّا هل هناك من يصدّق أنَّ العرب جميعهم كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون وكأنّهم قوم جهالة بالمطلق؟ هذا القول لا يستقيم إلّا بعدم علمهم بالقرآن قبل نزوله على رسولهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا مع أنَّهم حقًّا أميّون إلّا أنَّ البعض منهم يقرؤون ويكتبون؛ ولذا فهم بالنسبة إلى الدين الجديد جميعهم أميّون، وأنَّ أوَّل من أُعلِمَ دراية هو رسولهم النبي محمَّد صلوات الله وسلامه عليه، الذي كان أميًّا قبل نزول القرآن، ولأنَّه أوَّل من أُعلم كان مكلّفًا بتلاوة القرآن عليهم وبتزكيتهم، وبتعليمهم الكتاب والحكمة بوصفهم كانوا أميّين بما أُنزل؛ ولأنَّه كذلك فكيف يحقّ لنا أن نصفه أميًّا؟

وعليه: فإنَّ الكلمة التي بها كُسِرَ وهمُ الأميّة (اقرأ) لا يمكن أن يكون صاحبها من بعدها أميًّا.

ولتوضيح الفارق في المفاهيم أقول:

إنَّ الجهل لا يعني عدم المعرفة، بل يعني أن جزءًا كبيرًا من المعرفة غائبٌ؛ فالذي يعلم بمحمَّدٍ رسولًا، ولا يعلم عن رسالته إلَّا قولًا مسموعًا يعد جاهلًا، وليس بأميٍّ؛ ذلك لأنَّ الجاهل هو من تحوطه العلوم والمعارف والأنباء ولا يسعى إلى معرفتها.

أمَّا أهل الأميَّة كونهم لا يدرون بوجود ما يحوطهم فلا ينتبهون إليه ولا يسعون إلى معرفته؛ ولذا فهم على أميَّتهم لا يدرون؛ ومن ثَمَّ فهم أميّون بما يحوطهم وكذلك بما لم يولد بعد أو يخلق، ومن هنا نحن نجهل أمر ما خُلق

ما دمنا لم نتعرَّف عليه بعد، وبعضنا جاهلٌ بما يعلمه البعض وسيظل الجاهلُ جاهلًا حتى يعلم ما عَلِمهُ غيره.

وهنا فالجهل لا يعني غياب المعلومة، بل يعني عدم البحث عنها والسّعي إليها، أمَّا الأميَّة فلا وجود للمعلومة على الأرض حتى نسعى إليها بحثًا واستنارة.

ومع أنَّ الاستنارة تفتح آفاقًا واسعة أمام المدركات العقليّة وعيًا ومعرفةً واستقامةً، فإنَّها تضع قيودًا على السُّلوكيَّات والأفعال التي كانت مِن قَبلها تُفعل وتُسلك بكل حريّة وإرادة.

ولأنَّ الأميّ تحوطه الأميَّة من كلِّ جانب فلا يرى شيئًا سواها، ومَن تحوطه الاستنارةً قيدًا فلا يرى الأيَّام والأعوام من بعدها إلَّا استقامة.

ومع أنَّ العقل الأميّ لا يُمكِنه أنْ يَرى ما يراه عقل المستنيرِ؛ فإنَّه في غيبوبة الأميَّة لا يُسأل عمَّا لا يدري كما يُسأل من يدري في صحوة واستنارة؛ ذلك لأنَّ الإنسان المستنير عقله متقصٍّ ومتفحّص للمعلومة بالمعلومة؛ ومن ثمَّ يستطيع أن يكتشف سرًّا كان يجهله، ثمَّ يستطيع أن يصحح ويقوّم المعلومة الخاطئة بالمعلومة الصَّحيحة والصَّائبة.

وعليه: فإنَّ العقل المستنير قادرٌ على التبيّن والتمكُّن من المعرفة الواعية التي تجعله قادرًا على معرفة الحقيقة، التي من بعد معرفتها يتقيّد استنارة بما يجب أخذه أمرًا ونهيًا.

ومن ثمَّ علينا أن نميّز بين العقل الأمّي الذي قيّدته الأميّة عن غير دراية، والعقل المستنير الذي قيدته المعرفة وعيًا ودراية؛ فالعقل الأوَّل تقيّده حياة الفطرة أميَّة وشهوة، والعقل الثّاني تقيّده حياة المعارف (حيطة وحذرًا).

ولأنَّ الاستنارة قيدٌ، فإنَّ المستنيرين كما يتجنَّبون ما يؤلم أنفسهم يتجنبون ما يؤلم الغير؛ وبهذا فهم يميّزون بين ما يجب الأقدام عليه أو أخذه وما يجب تجنّبه والابتعاد عنه، وهم أيضًا بقراءتهم لعلوم المستقبل المتوقّع يرسمون السّياسات والخطط، ويعملون على إنجازها مع إصرارهم على إزالة ما يعيق سبيلهم من قيود تجاه الغايات المرجوة والمأمول نيلها.

ولأنَّ الاستنارة صحوةُ بصيرةٍ فهي لا تُبلغ إلَّا من بعد أنْ يُكسر قيد الأميّة درايةً، ومع أنَّ المستنير هو من كشف قيود الأميَّة وعمل على كسرها، فإنَّه بذات الاستنارة يُقيَّد؛ ذلك لأنَّ المستنير هو مَن بلغ مراتب المعرفة قمّة وبها تمكّن من قول: (نعم) لما يجب أن يقال له، وقول: (لا) لما ينبغي أن يقال له، وهذه لا تقال إلَّا عن مسئوليَّة؛ ولهذا فالمسئوليّة قيد على مَنْ حملها وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباءٍ جِسام؛ ذلك لأنَّ أقوال الإنسان المستنير وأفعاله وسلوكيَّاته يفترض أن تكون للغير مثالًا وقدوة؛ ولهذا فإنَّ أخلاق المستنير قيدٌ عليه أمام نفسه والغير.

ومع أنَّ العقلَ حيويَّةٌ إدراكيَّة تُمكّن من المعرفة والتمييز الممكّن من الاختيار إرادةً، فإنَّه قيدًا ضابطًا للفكر والسُّلوك وفقًا للمعايير الأخلاقيَّة والقيميَّة وما تسنّه الأعراف والأديان والدّساتير والقوانين المنبثقة منها.

ولتلك الحيويَّة مستويات بشريَّة وإنسانيَّة؛ فهي على المستوى البشري لا تزيد عن كونها فطريَّة، أمَّا على المستوى الإنساني فتمتد إلى أن تصبح في دائرة الاكتساب أخلاقيَّة.

وعلى المستوى البشري خُلق الإنسان في أحسن تقويم، وعلى المستوى الإنساني كانت القيم عند البعض قمّة، وفي المقابل كانت عند البعض قاعًا.

وبين هذا وذاك كان الاختلاف على المستوى البشري تنوّعًا مغريًا للاختيار وفقًا للرَّأي والرّؤية والرّغبة، وفي المقابل كان الخلاف بين البعض صدامًا واقتتالًا وأفعالًا مُرعبة؛ ولهذا أصبح العقل في حيرةٍ من أمره: هل يطلق العنان لجموحه البشري، أم يمسك لجامه إنسانيّةً.

ومن هنا تصدّرت ملكة التفكير ذلك المشهد، ومع أنَّها المتصدِّرة لذلك المشهد العقلي حيويّةً، فإنَّها تترك للنفس ما في غاياتها؛ تقديرًا للرّغبة والذّوق، فتجعلها بين خيارات متعدّدة لتختار ما تشاء، ووفقًا لاختياراتها تتحمّل المسئوليَّة وما يترتّب عليها من أعباء جسام (ثوابًا وعقابًا).

ومع أنَّ العقل ملكة التفكير للنّفسِ، فإنَّه لا يلزمها بما لا تشتهي، أو ما لا تحب ولا ترغب؛ فالعقل بلا إكراه مصدر الخيارات سالبها وموجبها، والنّفس بين هذا وذاك تختار؛ ومن هنا فاختيارات النَّفس ورغباتها تتنوّع، وصفاتها تمتدُّ لينة وشدّةً.

ولأنَّ النَّفس مليئة بالأمزجة والشَّهوات، فإنَّ أنا النّفس في كثير من الأحيان يتحفّز ظهورًا على حساب الغير؛ ومن هنا في ساعة ولادة أقوال الإكراه وأفعاله يتواجه الإكراه والقمعِ مع الرّفض والثورة.

ومع أنَّ النَّفس هي التي يتمّ قيدها، فإنَّها ذات أثرٍ على العقل، فهي عندما تقيّد إرادتها تلتجئ إلى العقل ليجدَ لها مخرجًا؛ فإنْ خَلُصَ معها أعطاها خيارات متعدّدة تمكّنها من فكّ القيد أو كسره، وإن لم يَخلُص معها فقد يزيدُها على قيدها قيدًا.

ومع أنَّ رغبات النَّفس وشهواتها كثيرة، فإنَّ خَلقها البشريّ فطرة لا يمنحها رغبةً في القيودِ، وفي المقابل أنَّ خُلقها الإنسانيّ لا يعطها حريَّةً إلَّا والقيود خيارات من خياراتها.

ولذا فإنِ اطمأنت النّفس لشيء أخذت به، وإنْ لم تطمئن إليه اجتنبته وعنه ابتعدت؛ ومع ذلك لن تأخذ به أو تبتعد عنه إلَّا وخيارات العقل أمامها؛ ولهذا فإن أخذت بما أجازه العقل لها كانت اختياراتها صائبة، وفي المقابل إن اختارت ما لم يُقرّه العقل لها فقد هربت من قيوده إرادة، مع العلم أنَّ إرادتها هذه قد تكون مخالفة لتلك القيود (القيم، والأعراف، والأديان، أو ما يستمدّ منها بغاية ضبط العلاقات والسُّلوك الإنساني).

وعليه: بما أنَّ النَّفس الإنسانيَّة بين حريَّة بلا ضوابط إنسانيَّة وضوابط العقل الإنساني وقيوده، فإنَّها لا تكون إرادة إلَّا بين قيدٍ وانفلاتٍ.

ولأنَّ القيد ضدّ الانفلات، إذن: ليس دائمًا القيد بلا محاسن، أي: إذا لم تقيّد نفسك إنسانيًّا (قيمًا ودينًا وعرفًا) فلا تستغرب إن تعرّضت لقيدٍ وأنت مُكرهًا، أي: لا تستغرب إنْ زُجَّ بك في السّجون مذنبًا في حقّ نفسك التي لم تحترم وتقدّر ما يحترمه ويقدّره العقل الإنساني خُلقًا.

ومن هنا أقول: لو لم تكن الفكرة قيدًا ما كانت الأيدي صانعة لحلقاتها؛ فالإنسان عندما لا يستطيع ضبط نفسه عن إرادة يجد نفسه يفكّر والحيرة تملؤه حتى يجد قيدًا لضبطه، وبعد أن يُقيّد بما أوجده من قيد، يبدأ في البحث عن كيفيّة فكّه وبكلّ ما يتيسّر له من حيلٍ.

ولذا فمن يريد أن يكون إنسانًا في أحسن تقويم فعليه أن يتمسّك بعقله الذي به يتميّز عن غيره، وإذا أراد الحرّيّة فعليه أن يقبل التنازل عن عقله؛ كي يستطيع في دائرة الممكن أن يفعل ما يشاء متى ما يريد، ولكنَّه نهاية سيعرف أنَّ للحرّية ثمنًا، وهكذا إذا أراد الاثنين معًا؛ فعليه أن يقبل بحياة المساجين الأحرار.

فنحن بني آدم لولا العقل وما نفكّر فيه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولا الوهم والموهوم به، ولا المحلّل والمحرّم، ولولا العقل والفكرة ما استعملنا كلمتي: (قفْ وسرْ)، ولا كلمتي: (لا، ونعم)، ومن ثمّ فإنْ لم يقيّد الإنسان نفسه أخلاقًا إنسانيَّة، سيجد نفسه مقيّدًا من قِبل الغير بفكرة القيد التي أنتجها عقله.

ومع أنَّ السّجن هو السّجن قيد؛ فإنَّ الإنسان إن فكَّر في نفسه عقلًا وقيدًا؛ أصبح على الأقل يمتلك الإرادة، ولكن إن وُضع القيد في يديه كرهًا؛ فهل يُمكن له أن يكون على شيءٍ من الإرادةِ؟

وإذا سلّمنا أنَّ العقل هو الذي يقيِّد نفسه، ألا نسلّم بأنّه قادر على فكّ قيده عن نفسه ارتقاءً؟

لا شكّ أنّه سيكون قادرًا إذا قبل التوقّف عند حدوده وكسر الوهم، ولا يتمدّد على حساب حدود الغير وهمًا؛ ولكن إن تمدّد وهمًا؛ فسيجد نفسه سجين تلك الفكرة التي أنتجها قيدًا.

ولذا فبالثّقافة رفعة تفكّ القيود، وبها توضع قيودًا: (تُفك من قيد الجهل المعرفي وتوضع به)؛ ومن ثمَّ فالمارقون الذين تمكّنوا من الاستيلاء على مقاليد السُّلطة في بلدانهم حكموا النّاس قيدًا، كما كان حال فرعون الذي قال كما جاء في القرآن الكريم: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}[9]، فهؤلاء لا يرون شيئًا يعلو على رؤاهم، ومن يخالف رؤاهم ضلّ، ومن يضلّ عن رؤاهم المخالفة للحقّ تواجهه المكائد، والدّسائس وصولًا إلى إقصائه بعد أن يلبّس بكمٍّ من التّهم التي تلفّق له قيدًا؛ ليُدانَ بتلك القوانين التي سنّت من أجل الطّاعة للظلمة، ولكن لأنَّ هذه الأفعال مضادة لنواميس الحياة وسُننها الطبيعيَّة، ترفضها الإرادة الإنسانيَّة كلّما كسرت القيد الذي يكبّلها ويحول بينها وبين ممارسة الحريّة؛ ولذا عندما يبلغ الإنسان الصّحوة

[9] غافر 29.

لا بدَّ له أن يرفض بقوّة الإرادة كلّ أسباب القيود وعللها، كما يرفض مَنْ قيّد النَّاس بها، ومَن أمر بوضع القيد في الأيدي، والطوق في الأعناق.

فتلك هي النّفس التي تطمئن حينًا وتأمر بالسّوءِ حينًا، أي: إنَّها إذا رشدت مع العقل اطمأنت، وإذا وهمت مع نفسها ساءت؛ ومن ثمَّ وجب كسر الوهم بقيد العقل رُشدًا.

ومع أنَّ القيد بمفاهيم العموم سالبًا، فإنَّه بالمفاهيم الموضوعيَّة ملئ بالموجبات وخير مثال: تلك المعجزات التي أنزلت على الأنبياء بغاية كسر قيد الوهم الذي كبّل عقول النَّاس وجعلهم يتخذون من دون الله آلهةً وأربابًا.

ومِن أعظم الأوامر التي أنزلت قيدًا على النبي محمّد -عليه الصَّلاة والسَّلام-هي فعل الأمر (قُل)، وهو فعل الأمر الملزم الأخذ به والتقيُّد؛ حيث لا اجتهاد من بعد (قُل)؛ ومن ثمّ فإنَّ (قُل) قد قنَّنت كلّ ما قِيل من بعدها، ولم تتركه فضفاضًا للتناقض وسوء التفسير وأوهام البشر؛ فهي من أهم الكلمات التي نقلت المبلّغ به إلى المبلّغ إليه دون أن تترك له رأيًا فيما أمرت به وقيَّدته.

ومن هنا فإنَّ الإرادة أمام الأمر المطلق أو الأمر كرهًا لن تُعد مطلوقة العنان، فهي بقدر ما يقيّدها الدين فإنَّ الدِّين يفتح أمامها آفاقًا واسعة، وكذلك بقدر ما تقيّدها القيم تسمح لها بالامتداد، وهكذا الدّساتير والقوانين تقيد حركة امتداها، وقد تقوّض المقدِمينَ عليها وتقودهم قيدًا إلى داخل الجدران وأقفاص الحديد؛ ومع ذلك لا تجعل الخوف قيدًا عليك، بل اجعله

قيدًا بين يديك تقوض به أيدي من يريد أن يقوِّض إرادتك ويشكل عليك خطرًا.

ومع أنَّ الدساتير الوطنيَّة لا تكون إلَّا باختيارات الشُّعوب إرادة، فإنَّها لا تزيد عن كونها قيدًا ديمقراطيًّا؛ ومن هنا فالإنسان إذا أراد ارتقاء؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الغير؛ حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح، ويتحدّى عقله تفكيرًا في نفسه؛ حتى يدرك أسرارها وخفاياها؛ ومن ثمّ يعرف أنَّ قوّة البصيرة بقوّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة وكبَّلتها القيود؛ ولهذا فالفكر ارتقاء يُمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه، حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

والفكرة سواء أكانت استنارة أم قيدًا لا تكون إلّا من إعمال العقل، الذي بإمكانه أن يستمدّ الشيء المجرّد من الشّيء المشاهد أو الملاحظ، كما هو استمداد القوانين من المعطيات الكونيَّة والطّبيعيَّة، ولأنَّ الفكرة مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه وَلَّدَتْ منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباهًا لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين الغرض وتحقيقه.

ومع أنَّ الفكرة تخلّص من الحيرة، فإنَّها لا تكون ارتقاء إلّا من بعدها، فالحيرة بالنّسبة إلى الفكرة تعدّ مخاض ولادة، وولادة الفكرة من دون حيرة تسبقها: هي ولادة قسريَّة؛ فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريّتها، فتولد مشوّهة؛ ومن ثمَّ ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف لتحقيق الأغراض ارتقاء.

ومع أنَّ هذا الأمر يعدُّ سالبًا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاءً، فإنَّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابًا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تُخرج من التأزّم وتكسر القيد.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكرية مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، فإنَّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس؛ ولذلك فالبحوث العلميَّة ارتقاءً تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الأغراض المحفّزةِ على حيرة جديدة، من بعدها حيرات تُمكّن من تحقيق غايات هي الأخرى تمكّن من كسر القيد؛ ومن ثمَّ إحداث النُّقلة ونيل المأمول.

ولهذا فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يقتنص له حلًّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشّيء استحالةً أو إعجازًا أو ممكنًا؛ حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة، تلد له حلًّا يمكّنه من تغيير أحواله رفعة، أو أن يضيف له جديدًا، أو على الأقل يتمكّن مِن كسر قيدٍ من بعده ينهض.

وعليه فالعقل بقدر ما هو الطّليق (خَلقًا فطريًّا)، فإنَّه المقيد خُلقًا مكتسبة، ففي خَلقه الفطري يجسّد الحياة الأميَّة (حياة الفطرة البشريّة)، وفي خُلقه المكتسبة يجسِّد حياته الإنسانيَّة قيدًا (إنَّه العقلُ الطليقُ قيدًا).

والعقل مع أنَّه الطّليق اختيارًا فهو المقيّد تسييرًا؛ أي: مع أنَّه المخيّر في مشيئة خَلقه، فإنَّه المسيّر في مشيئة خَالقه.

ويعدّ العقل قيدٍ؛ لأنَّ كل القيود التي تلمّ به وتطوِّق حريّته لا تكون إلَّا وليدة أفكاره، أمَّا الأديان مع أنَّها جاءت مخففة لآلامه ومواجعه من تلك القيود التي طوّق بها نفسه، فإنَّها لا تخلو من قيودٍ في دوائر التحليل والتحريم والثواب والعقاب.

وأوَّل القيود التي فكّر العقل البشري فيها أنْ يتّخذ له معبودًا ويتقرَّب إليه زلفى، معبودًا يُصنع من طينة ليست من صنع يدي الصَّانع، أي: معبودٌ لا شأن له حتى نستطيع أن نقول عنه: إنَّه أفضل شأنًا من شأن صانعه إلهًا.

ومن هنا نقول: إنَّ الخَالِقَ الذي يجب أن يعبد لا يكون إلَّا أعظم من المخلوقِ؛ ولأنَّ الخالق أعظم من المخلوق فيكف لخالقِ مصنوعٍ أن يتخذ له إلهًا من صنع يديه ولم يتخذ له معبودًا كان من وراء خَلقه ووراء يداه اللتان صَنعَ بها معبودًا من دون خالقه؟

إذن: العقل وفقًا لامتلاكه حيّز التخيير وفسحته قد حاد عن حياة الفطرة (الحياة الأميَّة) وذلك بتعظيمه من هو أقل شأنًا منه وفقًا لقاعدة: كل مخلوق من ورائه خالق، والمخلوق دائمًا أقل شأنًا من شأنِ خالقه.

ولأنَّ العقل قيدٌ على ممارسة الحريَّة فقد ابتدع لنفسه صفة لا علاقة لها بالحياة الأميّة، إنَّها صفة (الدكتاتور) التي بها قاد غيره، حتى تمكَّن غيره من الانقلاب عليه بأسلوبها قيدًا دكتاتوريًّا.

ومن هناك فالعقل الدكتاتور إذا حكم الشَّعب يُصبح هو المشرّع، وإذا غاب وكأنَّ القانون غاب؛ والشّعوب التي ركنت سنينًا تحت عقل الدكتاتور قيدًا لا ترى نظامًا ضابطًا للعلاقات بينها إلَّا ذلك النظام الذي ربط العلاقة بين الخوف والجبن حتى جعلهما وكأنَّهما التوأم؛ مع العلم أنَّ الخوف موجبٌ كما هو حال الخوف من الله، ومن الظلم، والذنوب، والعيوب، أمَّا الجُبن فسلبي؛ ذلك لأنَّه لا يكون في الميادين واقفًا إلَّا شاهد زورٍ.

ولذا أصبحت الدكتاتوريَّة لدى البعض مطلبًا يُقيِّد عقلًا لا ينضبط إلَّا بها، فالعقل الذي ركن السّنين قهرًا تحت وطأتها فلا يرى قيدًا ضابطًا للعلاقات إلَّا قيدها.

ومع أنَّ العقل الدكتاتور قادرٌ على توليد الحيويَّة كرها، فإنَّه المميت لها عند المستنيرين والمتطلّعين إلى بلوغ الأمل ونيل المأمول حريّة وكرامة وإرادة.

الاستنارةُ دراية

الاستنارة دراية تعني مما تعنيه أن تتم الدّراية أوَّلًا، ثم تكون الاستنارة مترتّبة على تلك الدِّراية، أي إنَّ الدِّراية بالشيء أو الأمر تعني الإلمام به فهمًا لما يستوجب الفهم، وحفظًا لما يتطلّب الحفظ، ثمَّ الوعي التَّام بأهميَّة المدرى به، ومن بعدها تكون الاستنارة بعدما تتجسَّد القوانين المدرى بها في الكلمة والقول، والفعل والعمل والسُّلوك، حتى يصبح صاحبها قدوة حسنة حُجَّةً وبرهانًا كما هو حال النَّبي محمَّد القدوة الحسنة.

ولهذا فالدِّراية إلمام رفيع بالمدرى به إنباءً، مع وافر الوعي مقدرة واستطاعة، ولا مضاد لمفهوم الدِّراية إلَّا الأميَّة، التي كانت صفة للنبي محمَّد، قبل أن يتم إنباءه بالمدرى به، والذي من بعده أصبح النبي المدري بعلم السَّماء يقينًا.

والدِّراية لا تكون إلَّا بعلم الغيب من عالم الغيب، وهو العلم الذي لا يُمكن معرفته إلَّا بالنبأ المنزَّل على الرُّسُل الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام.

ولأنَّ علم الغيب بيد عالم الغيب والشَّهادة، فلا إمكانيَّة لمعرفة شيء منه إلَّا وحيًا يُوحى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}[10]. أي: مع أنَّ الله قد أظهر للنبي محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام ما أظهره عليه من وحي مُنزَّل، فإنَّه لم يظهره على كل

[10] الأحزاب 63.

الغيب وعلمه؛ ومن هنا فإنَّ علم السَّاعة ما زال علم غيب ولا دراية لنا به مع علمنا وتسليمنا.

إذن: الدِّراية هي العلم بالشّيء يقينًا، وعن عي واستطاعة، وهي الدَّالة على إحداث النُّقلة من حالة الأميَّة إلى حالة الالمام بالعلم المنزَّل.

والدِّراية لا تكون إلَّا استنارة بعلمٍ كان مجهولًا كما تستنير الظُّلمة بنورٍ يضيء مساحتها وإنْ عظمت.

ولهذا فإنَّ علم الدِّراية لا أميَّة فيه أبدًا؛ ومن ثمَّ فإنَّ مفهوم الأميّة يعطي مفهومًا مضادًّا لمفهوم الدّراية، وفي المقابل يصبح مفهوم العلم مضادًّا لمفهوم الجهل؛ ولهذا مع أنَّه لا وجود لأمَّة أميّة بعد الرِّسالة الخاتمة والرّسول الخاتم، فإنَّ الجهل بين أفراد الأمم قيدٌ على كلِّ بداية ونهاية.

والأمَّة الجاهلة هي الأمَّة التي تعيش التخلُّف ولا تُدرِك الحالة التي هي عليها من تخلّفٍ، وهي التي لم تأخذ بأسباب العلوم ولا تسهم في إحداث النُّقلة وبلوغ الأمل ونيله دراية.

ومع أنَّ الأميَّة على العقل قيدٌ صلبٌ فإنَّ الدّراية قادرة على كسر قيدها؛ وذلك كما كسرت أميَّة النبي محمَّد –عليه الصَّلاة والسَّلام–الذي كان قبل الوحي أميًّا والذي أصبح من بعده نبيًّا مدريًا.

وإذا أردنا أن نكسر قيد الأميّة معرفةً فعلينا بتحديد المفاهيم ذات العلاقة بها وما تقيّده من مفاهيم متضادّة، والتي منها:

. **الاستغفال** في مواجهة **الاستنارة** (الاستغفال قيد دون الاستنارة).

. **الاستظلام** في مواجهة **الاستضواء** (الاستظلام قيد دون الاستضواء).

. **الاستغماض** في مواجهة **الاستجلاء** (الاستغماض قيد دون الاستجلاء)

. **الجهل** في مواجهة **العلم** (الجهل قيد دون العلم).

. **الشّك** في مواجهة **اليقين** (الشّك قيد دون اليقين).

. **الغفلة** في مواجهة **الصّحوة** (الغفلة قيد دون الصّحوة).

. **الغيبوبة** في مواجهة **الوعي** (الغيبوبة قيد دون الوعي).

. **الضلال** في مواجهة **الهداية** (الضلال قيد دون الهداية).

. **التيه** في مواجهة **المعرفة** (التيه قيد دون المعرفة)؛ ذلك لأنّ التائه هو الذي ليس له من الدّليل شيءٌ ليستدل به على الشيء معرفة.

. **الأميّة** في مواجهة **الدِّراية** (الأميَّة قيد دون الدراية).

إذن عندما تكون الدِّرايةُ في مواجهة الأميَّة يصبح الإلمام المعرفي بلا نواقص، وهي الممكِّنة مِن معرفة العلاقة بين السّماء والأرض، وهذه خاصيّة خص الله بها الرُّسُل والأنبياء الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام وحيًا وإنباءً.

ومع أنَّ الدِّراية خاصيّة خصَّ الله تعالى بها الأنبياء والرّسُل، فإنَّ المؤمنين بمعجزاتهم يدرون بها علمًا ومعرفةً تمكّنِهم مِن التمييز بين العلم الممكن، والعلم المعجز، والعلم المستحيل؛ ومفهوم العلم هنا ليس كما يظن البعض ذلك التعليم الممنهج، بل هو علم الدِّراية يقينًا واستنارةً.

والدِّراية لا تكون استنارةً إلَّا من بعد الإلمام التَّام بما ينبغي الإلمام به، وأنَّ المدرى به سيكون قيدًا على من التزم به أوامر ونواهٍ؛ ولذا فالدّراية رفعة عن كلِّ ما من شأنه أنْ يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليَّة؛ وذلك بغاية بلوغ ما يُمكِّن من إحداث النُّقلة، التي:

. تغذي الرّوح نشوة.

. تطمئن النّفس سكينة.

. تخاطب العقل دراية.

. ترضي القلب يقينًا.

. تشبع البدن حاجة.

. تزيد الذّوق رفعةً وارتقاءً.

وعليه: فإنَّ الحياة الدُّنيا وبما فيها من دراية عقليَّة، فإنَّها إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا لا تزيد عن كونها حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت أوَّل ما بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارًا بين بعض النَّاس، وفي

المقابل يرتقي بعضهم رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه دراية؛ ولذلك فقد سعى استغفارًا وتوبة أهَّلته لأن يكون نبيًّا يُنبئ بما عُلّم به من قِبل خالقه؛ ومن ثمّ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل الصّالح عقلًا ودراية.

ولذلك أصبح العمل ارتقاءً أمل المصلحين السّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود؛ ولذا فالسّاعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم؛ ولهذا وجب اتقان العمل إخلاصًا ودرايةً، حتى الارتقاء بالأرض الدّنيا ورتقها في السّماء جنّة.

عليه: وجب العمل الممكِّن دراية من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألَّا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسًا من تروس عجلة الحياة العامّة؛ ذلك لأنَّ الارتقاء الممكّن من العمل المرضي لا يُمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ ولذلك فالعمل وفقًا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ وهو: إحداث النُّقلة عن درايةٍ، وغرض عام يُحفِّز الآخرين ويدفعهم للرّفعة، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطّريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية وهو لا يدري.

ومن هنا فإنَّ بني آدم في دائرة الممكن هم بين متوقَّع الارتقاء عقلًا ودراية، ومتوقَّع الدونيَّة غفلة وشهوة، ومن جهة أخرى هم يتبدّلون؛ إذ لا ثوابت؛ فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه قيدًا، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء؛ ولذلك ينبغي العمل

مع بني آدم من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه دراية واستنارة.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والرّفعة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة فضيلةً، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمةً، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار قيدًا.

إذن: فعلى العقل الآدمي درايةً أنْ يعي بإمكانيَّة بلوغ السّماء ارتقاء كلّما عمل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ومأمولات يتم نيلها، ولكن إن أحسّ العقل وهو منفردٌ بشيءٍ من التّعب، فعليه بوضع اليدين مع الأيدي صعودًا وارتقاء.

فالارتقاء عقلًا ودراية مثل المعمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة، وفكرة من بعد فكرة، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من بعده مأمول أعظم)، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة، فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا، والهادمين له انحدارًا؛ ولأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف فلا بدَّ أن نظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ}[11]، ولهذا

[11] هود: 118، 119.

فالصّراع والصّدام بين أهل العقول والدِّراية وبين أهل الشّهوة والتمدُّد على حساب الغير سيظل قيدًا ساريًا بين حقٍّ وباطلٍ.

ولذا فإنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة خيّرة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي عقلًا ودرايةً أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

ومن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن، فالاقتتال والفتن قيود وضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين، ومن ثمَّ يجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف دراية واستنارة، ومن يضيّعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم، فالنّدم قيد وعندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فقيد النّدم دراية يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما غلبت الشَّهوة عقل الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي عقله دراية ارتقاء تذكّر، فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر درايةً حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، وغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

إذن: وجب التدبُّر دراية بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين، فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بأهل العقول والدّراية، وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة، فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، والمأمولات قمّةً وارتقاءً.

فرجالات الدّولة عقلًا ودراية هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنَّ العصبيّة قيدٌ ومقبرة للذين لا يعلمون، فرجالات الدّولة دراية وارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كَبِروا تواضعوا، أمَّا المدّعون لذلك فهم مع كلّ هبَّة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وسُفليَّة الدَّولة ودونيَّتها.

فقيام الدّولة ورفعتها ارتقاء لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودرايةٍ؛ ولهذا ينبغي أن يتم استهداف رجالات بعينهم لإدارتها وفقًا لما هم عليه من مكانة ودراية وخبرة وتجربة، ومع ذلك ينبغي أن يتم إخضاعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم

إلى مناصب إداراتها، وكذلك فهم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن الدّراية قيمًا وخُلقًا؛ وذلك أوَّلًا: بهدف إعادتهم إليها ارتقاءً، وثانيًا: محاسبة من انحرف منهم عن قيم حَمْل المسئوليَّة التي تم اختيارهم إليها إرادة.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كرام يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدًا دينيًّا، ومع ذلك فهناك من يجهل ويغفل، فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين، التي تزداد ضيقًا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب الدِّراية وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق، ومن ثمّ فمن يعتقد أنَّه إذا تمكّن

من عضّ يد أحد وعضّها، فلا شكّ أنَّ عضَّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ حُرقة الجهل والظّلم والعدوان والكيد والمكر والحسد عندما تشتعل نيران غضبها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا الرّكون للتخلّف قيدًا، وفي المقابل الشّعوب دراية ترتقي علمًا ومعرفةً وتسامحًا وخبرةً وتجربةً، فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

وعليه:

فبنو آدم بلا عقل ولا دراية وبلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله فسيبقون على أملهم وكأنَّهم بلا أمل، أمَّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل فلا شكّ أنَّه سيُسهم في إحداث النُّقلة دراية وارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا بلا عقول ولا دراية هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك لا ينبغي أن يكون بنو آدم سماعيّين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظًا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر دراية من أجل ما يجب حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسئوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

ولذا فبنو آدم وهم تحت قيد العقل والدِّراية يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغ ما يأملون رفعة وقمّة، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكِّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

والارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم هو: أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمَّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة؛ ولذا فبين هذا وذاك وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى؛ فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحًا أو تعمل طالحًا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة يمكّن بني آدم عقلًا ودراية من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) ويمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)، فبنو آدم عقلًا ودرايةً لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على

أخذ نصيبهم منها، بل يقيّدون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء[12].

استنارةُ العقلُ:

استنارة العقل بما يدري دراية، تُمكِّن من الاختيار عن وعي، والتمييز عن وعي، والعمل عن وعي، والسُّلوك عن وعي، والتقوى عن وعي، ومخافة الله عن وعي، ولهذا فاستنارة العقل مقدرة واسعة تكشف العلاقة بين السّماوات والأرض من خلال استيعاب المعجز، ومعرفة المستحيل، والبحث الممكِّن من اكتشاف المتوقّع وغير المتوقّع، فالعقل دراية وارتقاء قيمة تفضيليَّة خصّ الله بها الإنسان خَلقًا وخُلقًا؛ فهو في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه فينبغي أن يكون على الفضائل الخيّرة التي فضّلها الله، وعلى القيم الحميدة التي ارتضاها النَّاس: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[13].

فهكذا هو التفضيل للإنسان الذي يمشي سويًّا على صراطٍ مستقيم، والذي شاء الله أن يكون خليفته في الأرض؛ ولذا فالفرق كبير بين من يمشي مكبًّا على الأوجه ومن يمشي سويًّا (مقوّمًا)؛ ذلك هو أمر الخالق ومشيئته التي شاءت التفضيل لمن يمشي سويًّا على غيره من المكِبّين؛ إنَّها الفضيلة

---

[12] عقيل حسين عقيل، الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م، ص 6 – 16.

[13] الملك 22.

الباقية التي لا تتبدّل؛ كونها صُنع الخالق، أمَّا المتبدّل فهي الأخلاق التي لا تكون إلَّا بيد المخلوق.

ولذا فلا إمكانيَّة لتلك المخلوقات المكِبّة والزَّاحفة أن تتطوّر وترتقي كما يظنّ بعض البحّاث لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبّة الأوجه، وفي المقابل يمكن للإنسان الذي يمشي سويًّا أن ينحدر خُلقًّا فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقًا، أي: يُمكن أن تصبح أخلاق الإنسان سُفليَّة ودونيَّة، أمَّا خَلقه فسيظل في أحسن تقويم، ولن يتبدّل: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}[14]؛ ولأنَّه المتقن بالمطلق فقد اتقن جلَّ جلاله خَلق الإنسان في أحسن تقويم، ومع أنَّه خلقه في أحسن تقويم، فإنّه لم يخلقه على الكمال، ذلك هو الإنسان الذي خُلق مسيّرًا ومخيّرًا (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر فيُتاب عليه.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن رُقيًّا فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم، وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله دراية: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[15]؛ ذلك لأنَّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة دراية تامَّة وكاملة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق ولا تتعلّق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

[14] النمل 88.
[15] البقرة: 37.

وفي دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمَّا الاستثناء في دائرة الممكن ألَّا يُصححه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة، وهي: متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة دراية.

وعليه:

فالارتقاء قيمةٌ خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[16]؛ ولأنَّ الإنسان الأوّل خُلق من تراب الأرض المرتقة في السّماء جنّة، كان خَلقهُ في أحسن تقويم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[17].

ولذا فأساس خَلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمَّا الاستثناء ألَّا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خَلقًا، وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: ألَّا يأكلّ من تلك الشّجرة: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[18].

---

[16] الأنبياء: 30.

[17] التين: 4.

[18] البقرة: 35، 36.

ومن هنا جاء انحدار أبينا آدم عوضًا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خَلقًا: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[19]؛ حيث الهبوط على الأرض التي فُتقت من السّماوات فأصبحت أرضًا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍّ (في السّماء)، ولكن آدم الذي خُلق على حُسن التقويم فبعد الدراية تدارك أمره فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[20]، ولهذا فقد استثني آدم من الوجود السُّفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}[21].

وعليه:

فالإنسان الأوّل (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم فتقويمه الخَلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاء؛ وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو المنهي عنه: (ألّا يأكل من تلك الشّجرة)، فحاد آدم عن الخُلق الذي هو بيده تخييرًا، ولكن لم يحدّ عن خَلقه المقوّم تسييرًا؛ إذ لا إمكانيَّة له في ذلك (إنَّه صُنع الله).

ولذا فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا كيفًا؛ كونه يتعلّق بالدّراية لا بالماديَّات، وهكذا حال النُّقلة التي لا تكون عقلًا إلَّا عن معرفةٍ وعلمٍ، وهي تختلف عن النَّقلة التي لا تكون إلَّا مادَّة.

---

[19] التين: 5.

[20] البقرة: 37.

[21] التين: 6.

إذن: فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا وعيًا، وبه يتم التمييز بين ما يجب وما لا يجب، وبه دراية يتم الاقدام على ما ينبغي، والانتهاء عمَّا لا ينبغي، ومن هنا تتحقق الرّفعة بكل ما يؤدّي إلى النُّقلة إلى الأفضل والأنفع والأجود، أي: إنَّها تتحقّق بالتخلّي عن كل ما يؤدّي إلى السُّفليَّة والدّونيَّة.

ومع أنَّ خَلق الإنسان جاء على الرّفعة خَلقًا، فإنَّه أخلاقًا يقع فيما يؤدّي به إلى الدُّونيّة والسُّفليَّة؛ ولذا فلا ارتقاء إلَّا بفضيلة حميدة أو قيمة خيِّرة، ولا دونيّة إلَّا بالتخلّي عن الفضائل والقيم.

ومع أنَّ أمر الارتقاء الآدمي جاء خَلقًا مميّزًا عن غيره من المخلوقات وبقي متميّزًا وسيظل، فإنَّه أخلاقًا انحدر سُفليَّة؛ ذلك لأنَّ أمر الخَلق بيد الخَالق جلَّ جلاله، أمَّا أمر الأخلاق فبيد المخلوق الذي خُلق على التسيير خلقًا، وتُرك له التخيير فيما يشاء إرادة سواء أكان ما يشاءه دراية عن فضيلة وقيمة، أم ما يشاءه بلا فضيلة ولا قيمة.

ولأنَّ الخَلق بيد الخالق فلا تخيير، ولأنَّه لا تخيير فسيظل من خُلق مكبّ الوجه مكبًّا، وسيظل الزّاحف زاحفًا، وسيظل من يمشي سويًّا على قوامه في أحسن تقويم، ومن ثمّ فسيظل القرد قردًا، والإنسان إنسانًا، والسّمك سمكًا.

ونظرًا لأهميَّة الإنسان في الوجود الخَلقي جاء خَلقه من عجلٍ: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}[22] والعجل هو الشيء الذي نجهله صفة، وندركه شيئًا، فقوله: (من عجلٍ) أي: من شيء مميّز، ولم يقل: (على عجلٍ) أي: لم يقل

[22] الأنبياء: 37.

(على تسرّعٍ)؛ فالخالق تعالى يخلق بالأمر لا بالجهد، ولهذا فخلقه لا تسرّع فيه، ولأنَّه لا تسرّع، قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[23]. مع العلم أنَّ العَجل في كلام أهل حمير يعني: الطّين، وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ}[24]، والسّلالة هي: النّوعيّة الرّاقية من طين الجنّة حيثما كانت الأرض مرتقة مع السّماوات في علاها؛ وذلك لأنَّ خَلق الإنسان لم يكن على الأرض الدُّنيا، بل كان خَلقه على الأرض قبل أن تُفتق عن السماوات، ويُهبط بها دُنيا، ولهذا فالسّلالة تدلّ على أصل الخلق الآدمي من تراب الأرض المرتقة في السّماوات؛ حيث رُقي طين الجنّة.

ومن هنا فسلالة خَلق الإنسان خاصّة به، والسّلالة تعني الجودة الرّاقية ذات الخاصيّة المتميّزة (جنسًا ونوعًا)؛ ولذا فلا عجل، ولا عبثيَّة في خَلق الإنسان الذي خُلق من طين الجنّة، والذي جودته تصلصل ارتقاء: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[25].

ولأنَّ الإنسان الأوّل (آدم) قد خُلق في أحسن تقويم فهو من حمإ مسنون (من مادّة ذات جودة عالية)؛ إذ لا شائبة، ومن ثمّ فلا طين يماثلها، فالطّين الذي خُلق منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطّين).

---

[23] التين: 4.

[24] المؤمنون: 12.

[25] الحجر: 26.

ومن هنا خُلق الإنسان مُفضّلًا على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنّ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[26].

ولأنَّ الإنسان هو المفضّل خَلقًا، وله ملكات العقل الدَّارية، فعلّمه الله نبأ ما لم يعلمه الملائكة: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[27].

ولأنَّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره، سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا}[28]، أي: بأسباب الخَلق ارتقاء وكذلك النّبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربّه، سجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به.

ولأنَّ الجنس الآدمي هو المفضّل ارتقاءً، كان آدم نبيًّا للملائكة والجنّ والإنس جميعًا: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) فلمّا أنبائهم سجد الملائكة إلَّا

---

[26] البقرة: 30.

[27] البقرة: 31 . 33.

[28] البقرة: 34.

إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلّا هل هناك من يشكّ في أنَّ الذي سجد الملائكة له لم يكن على الارتقاء مفضَّلًا؟

أمَّا الخَلق الثَّاني: فهو الخلق المؤسّس على النّطفة (الماء الدّافق): {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ}[29]، وهذا الخلق هو الخَلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممّا جعل السّلالة الثَّانية تختلف عن السّلالة الأولى، فالسّلالة الأولى: من طينٍ لازب، والسّلالة الثَّانية: من ماءٍ دافق مَهين: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَاءٍ مَّهِينٍ}[30].

ولأنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء فينبغي أن يكون عليه قمّة وكأنّه كبد الكون: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}[31]، أي: خُلق الإنسان على المحبّة تميُّزًا فينبغي أن يكون عليها كبدًا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى خيرًا استقامةً واعتدالًا ولا مظالم، فتجمع ما تفرّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدّي به إلى الرّفعة والارتقاء دراية.

وعليه: تعدّ الأخلاق نتاج الفضائل الحميدة، والقيم الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاء، فبها يرتقي الإنسان قولًا وفعلًا وعملًا ومعرفةً

---

[29] النحل: 4.

[30] السجدة: 8.

[31] البلد: 4.

وسلوكًا؛ من أجل علاقات اجتماعيَّة وإنسانيَّة مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

وبما أنَّ الإنسان أساس خَلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) فإنَّ غايته الارتقاء خُلُقًا إلى ما يجب، ومع أنَّ الأخلاق بيد النَّاس، فإنَّ بعضهم يخسرها بلا ثمن؛ ولذلك فالإنسان الأوّل قد خُلق من تراب الجنّة، وظل على خَلقه سلالة بشريَّة تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده، فالإنسان هو الإنسان، ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن هو بين متوقَّع وغير متوقَّع، فآدم وزوجه خُلقا في الجنّة من تراب الجنّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن القيم؛ حيث عدم التزامهما بالأمر النَّاهي عن الأكل من تلك الشَّجرة المنهي عنها: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[32].

ولذا فإنَّ البقاء في الجنّة بقاء فضائل خيّرة وقيم حميدة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام الذي خُلق في الجنّة خَلقًا أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

ولأنَّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة فبعد أن تَلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه دراية: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

[32] البقرة: 36.

فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[33]، ومع ذلك صدر الحكم عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍ وارتقاء إلى سُفليَّة ودونيَّة: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا}[34].

ولأنَّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم فهو خروج من الجنّة؛ حيث ظلّت الجنّة في العلو رُقيًّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الحياة الدّنيا على الأرض الدّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علو الجنّة ارتقاءً، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدّنيا إلّا تنزيلًا؛ لأداء مهمّة تربط أمرًا بين السّماء والأرض، ونحن نجهله فلا ندريه: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[35].

ولأنّها الأرض الدّنيا وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء، إذن: فلا إمكانيَّة لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة، والنّاهية، والآمرة، والمحذّرة، والمنذرة، والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانيَّة تنظّم أساليب الحياة ارتقاءً، وتُلفت المختلفين إلى ما يؤدّي بهم إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُّقلة وبلوغ القمّة دراية.

[33] البقرة: 37.
[34] البقرة: 38.
[35] القدر: 3 . 5.

فَأُنزلت الرّسالات دراية تأمر وتنهى: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[36]، بمعني: يجب أن يكون الإنسان على الأخلاق الكريمة أينما كان، سواء أكان آدم وزوجه في الجنَّة ارتقاء، أم أصبحا وبنوهم على الأرض انحدارًا، غير أنَّ الحياة العليا بعد تلك الإغواءات قد جُرّدت من النقائص والحاجات التي أثّرت انحدارًا على الإنسان الأوّل (آدم) ومَن شاركه في المعصية أو حرّضه عليها، وأصبحت الحياة هناك ارتقاءً كاملًا.

أمَّا بعد الهبوط فَالفتن لم تنته، بل تكاثرت مع التزاوج والتكاثر، فالصّدامات والخصومات بين أبالسة وشياطين الإنس والجنّ استمرّت بلا انقطاع، ومع ذلك فإنَّ بقاءها في الحياة الدّنيا هو بغاية الاتعاظ، وأخذ العبر من ذلك الإغواء الذي كان سببًا في هبوط المخالفين من الحياة الرّاقية إلى الحياة الهابطة.

ولأنَّ مخالفة آدم وزوجه لِمَا نهى الخالق عنه: (الأكل من تلك الشّجرة قد أخرجهما من الجنّة) فظلّ هذا الدّرس شاهدًا على ما يمنع بني آدم من أن يدخلوا الجنّة، أي: بما أنَّ تلك المخالفة قد أخرجت آدم وزوجه من الجنّة، إذن: فكيف لبني آدم من دخولها؟

أقول:

[36] البقرة: 190.

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[37].

ولأنَّ أمر الهبوط كان أمرًا حاسمًا لمخالفة جرت في الجنّة إذن: ألا يعدّ أمر الهابطين أمرًا حاسمًا في عدم الدّخول إليها؟ وهل من مُخرجٍ من هذه الأزمة وأنَّ معظم الخَلق لهم من المخالفات ما لهم على الانحدار والدونيَّة؟

أقول:

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}[38].

من هنا وجب إعمال العقل دراية حتى التبيّن وعيًا دون إكراه، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر؛ ولذا وجب قول الحقّ وترك النَّاس أحرارًا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم: (جهلًا أو تعلّمًا)؛ وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ ارتقاء وعن دراية.

ولأنَّ الأخلاق ارتقاءً هي أساس المعاملة الحسنة فالأخذ بها عقلًا ودراية لا شكّ أنَّه يجعل الإنسان على المحبَّة، بدلًا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[39]، أي:

---

[37] الأنعام 160.

[38] الزمر 53.

[39] يونس: 99.

فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنَّ مشيئة الخالق هي الفاعلة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}[40]؛ لذلك كان محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام داع إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق درايةً وارتقاءً، فالأخلاق تعد قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السّلوك يصبح سلوكها قمّة، ومن هنا فمن أراد أن يكون قمّة فعليه بعقله دراية.

ولأنَّ الارتقاء خَلقًا لا يكون إلَّا بيد الخالق فقد خَلق الخَالق آدم في أحسن تقويم من غير أب ولا أم (من تراب الجنَّة الصلصال)؛ إذ لا إنس من قبله، ولأنَّه كذلك جعله الله على الارتقاء نبيًّا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلّا إبليس، ومع أنَّ آدم قد خُلق في الجنّة والأرض مرتقة في السّماوات، فإنَّه بمخالفة أمر الخالق أُهبط به والأرض، وكذلك معه من كان سببًا في إغوائه ومعصيته، وأيضًا من قَبِلَ الإغواء معه معصية (زوجه)، وهنا تكمن العلّة التي دعت آدم ندمًا واستغفارًا وتوبةً، ولكنَّ قرار الهبوط نافذ: {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[41].

ومع أنَّ آدم تاب لربّه دراية، فإنَّ توبته لم تَحُلْ بينه والهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد أن كان على أرض النّعيم قمّة وارتقاء، فآدم

[40] يونس: 99.

[41] الأعراف: 24.

عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباه نبيًّا؛ لِيُنبئ من بُعث إليهم نبيًّا: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[42]، وهنا يكمن أمل آدم في العودة إلى الجنَّة ارتقاءً تلك الجنَّة التي فقدها ولم يعد يراها نعيمًا على الأرض المغبرّة التي أُهبط بها أرضًا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك النّعيم الوافر؟

لا سبيل له عقلًا ودراية إلَّا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباه ربّه نبيًّا، وعلّمه ما لم يكن يعلم، ومن ثمَّ أدرك آدم درايةً أنَّ فرصة العودة إلى الجنّة بعد توبته أصبحت ممكنة إن عَمِلَ وأتقن عمله عقلًا ودراية.

ولذلك فَمِن بعد آدم أصبح العمل هو الممكِّن من إحداث النُّقلة وتحقيق الارتقاء دراية ورفعة، فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم لم يرها ابناه، فهما ولدا في الحياة الدّنيا (السُّفليَّة)، ولكن إنباء أبيهما أصبح بينهما حُجَّة وموعظة وعبرة، فبدأ العمل دراية وارتقاءً من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به أبيه الذي شهد ذلك النّعيم فأخذ بالنبأ وأمل الارتقاء إلى النّعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخاه أخذته الشّهوة انحدارًا وسُفليَّة؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده محبّة: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ

[42] طه: 122.

بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[43].

وعليه:

فالارتقاء عقلًا ودرايةً مؤسّس على الفضائل الحميدة والقيم الخيّرة؛ وذلك ارتفاعًا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليَّة، حتى بلوغ ما يُمكِّن من إحداث النُّقلة الممكِّنة من بلوغ الجنَّة عيشًا رغدًا، ومن هنا وجب عمل العقل عن دراية بالعمل المحقّق للعيش النّعيم، الذي فيه الوفرة:

. تغذي الرّوح نشوة.

. تطمئن النّفس سكينة.

. تخاطب العقل دراية.

. ترضي القلب يقينًا.

. تشبع البدن حاجة.

. تزيد الذّوق رفعةً وارتقاءً.

وعليه: فإنَّ الحياة الدُّنيا دراية عقليَّة إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت أوَّل ما

[43] المائدة: 28 . 30.

بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارًا من بعض النَّاس، وفي المقابل يرتقي بعضهم رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه دراية؛ ولذلك فقد سعى استغفارًا وتوبة أهّلته لأن يكون نبيًّا ينبئ بما عُلّم به من قِبل خالقه، ومن ثمّ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل الصّالح عقلًا ودراية.

ولذلك أصبح العمل ارتقاءً أمل المصلحين السّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود، من أجل العيش الرّغد؛ ولذا فالسّاعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم، ولهذا وجب اتقان العمل إخلاصًا ودرايةً، حتى الارتقاء بالأرض الدّنيا ورتقها في السّماء جنّة.

ومن هنا وجب العمل الممكِّن دراية من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسًا من تروس عجلة الحياة العامّة؛ ذلك لأنَّ الارتقاء الممكّن من العمل المرضي لا يُمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ ولذلك فالعمل وفقًا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ وهو: إحداث النُّقلة عن درايةٍ، وغرض عام يُحفِّز الآخرين ويدفعهم للرفعة، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية وهو لا يدري.

وعليه: فبنو آدم في دائرة الممكن هم بين متوقَّع الارتقاء عقلًا ودراية، ومتوقَّع الدونيَّة غفلة وشهوة، ومن جهة أخرى هم يتبدّلون؛ إذ لا ثوابت فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء؛ ولذلك ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه دراية عقليَّة واعية.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والرّفعة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة فضيلةً، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمةً، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار عِلَّة.

إذن: فعلى العقل الآدمي درايةً أنْ يعي بإمكانيَّة بلوغ السّماء ارتقاء كلّما عمل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ومأمولات يتم نيلها، ولكن إن أحسّ العقل وهو منفردًا بشيءٍ من التّعب، فعليه بوضع اليدين مع الأيدي صعودًا وارتقاء.

فالارتقاء عقلًا ودراية مثل المعمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة، وفكرة من بعد فكرة، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من بعده مأمول أعظم)، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة، فالصّراع

بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، والهادمين له انحدارًا؛ ولأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف فلا بدَّ أن نظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[44]، ولهذا فالصّراع والصّدام بين أهل العقول والدِّراية وبين أهل الشهوة والتمدُّد على حساب الغير سيظل ساريًا صراعًا بين حقٍّ وباطلٍ.

ولذا فإنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة خيّرة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي عقلًا ودرايةً أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

وعليه: فمن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن، فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين، ومن ثمَّ يجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف دراية وارتقاءً، ومن يضيّعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم، فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فالنّدم دراية يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف

[44] هود: 118، 119.

صائبة، أي: متى ما غلبت الشهوة عقل الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي عقله دراية ارتقاء تذكّر، فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر درايةً حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، وغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

إذن: وجب التدبُّر دراية بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين، فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بأهل العقول والدّراية، وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة، فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، والمأمولات قمّةً وارتقاءً.

فرجالات الدّولة عقلًا ودراية هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنَّ العصبيّة مقبرة الذين لا يعلمون، فرجالات الدّولة دراية وارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كَبِروا تواضعوا، أمَّا المدّعون لذلك فهم مع كلّ هبَّة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وسُفليَّة الدَّولة ودونيَّتها.

فقيام الدّولة ورفعتها ارتقاء لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودرايةٍ، ولهذا ينبغي أن يتم استهداف رجالات بعينهم لإدارتها وفقًا لما هم عليه من مكانة ودراية وخبرة وتجربة ومهنيّة، ومع ذلك ينبغي أن يتم اخضاعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك فهم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن الدّراية قيمًا وفضائلًا؛ وذلك أوَّلًا: بهدف إعادتهم إليها ارتقاءً، وثانيًا: محاسبة من أنحرف منهم عن قيم حَمْل المسئوليَّة التي تم اختيارهم إليها إرادة.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كرام يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدًا دينيًّا، ومع ذلك فهناك من يجهل ويغفل، فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين، التي تزداد ضيقًا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب الدِّراية وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق، ومن ثمّ فمن يعتقد أنَّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها، فلا شكّ أنَّ عضَّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُّفليَّة المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب دراية ترتقي علمًا ومعرفةً وتسامحًا وخبرةً وتجربةً، فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

وعليه: فبنو آدم بلا عقل ولا دراية وبلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله فسيبقون على أملهم وكأنَّهم بلا أمل، أمَّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل فلا شكّ أنَّه سيُسهم في إحداث النُّقلة دراية وارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا بلا عقول ولا دراية هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك لا ينبغي أن يكون بنو آدم سماعيّين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظًا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر دراية من

أجل ما يجب حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا فهم يأملون العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه؛ ولأجل ذلك فمن آمن منهم وعيًا ودراية يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم عقلًا ودرايةً من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، يصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكِّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

وهنا أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم قد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار من الكون؛ ولذا فَلِمَ لا تتوقّفون

عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من الاكتشاف العلمي عقلًا ودرايةً، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا)، ومن هنا فإن كنتم أهل موضوعيَّة فلا يليق أن تتجاهلوا كتابًا يملأه العلم والبيّنة والدراية؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية ومن بعدها آيات.

وعليه: فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم هو: أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمَّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة؛ ولذا فبين هذا وذاك وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى، فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحًا أو تعمل طالحًا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة يمكّن بني آدم عقلًا ودراية من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) ويمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)، فبنو آدم عقلًا ودرايةً لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

إذن: فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزّائلة (الحياة المنقوصة)؛ حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعةً وارتقاءً.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب العمل عقلًا ودراية بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية)، ثمَّ نيل المأمول جنّة؛ ولهذا فلا ينبغي أن يرضى بنو آدم بالفقر، فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ ولذا فلو عمل بنو آدم جميعهم لما وجد الفقر مكانًا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعا فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى[45].

ومع أنَّ الاستنارةَ قيدٌ أخلاقيٌّ على المستنير، فإنَّها أيضًا قيدٌ له في ميادين البحث العلمي؛ ومن هنا يختلف مفهوم القيد (على المستنير) عن مفهوم القيد (للمستنير)، فالقيد على المستنير يستوجب خضوعه أو إخضاعه من قبل النّصوص أو من قبل الغير، أمَّا أن تكون الاستنارة قيدًا

---

[45] عقيل حسين عقيل، العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م/ ص 6 – 27.

له؛ فهي الاستنارة القابلة للاستخدام من طرفه وعيًا؛ كونها استنارة معرفة ودراية.

فاتباع الباحث المستنير لخطوات البحث العلمي تتطلَّب منه التقصّي للمعلومة وفقًا لقيود قواعد البحث ومناهجه وأساليبه الموضوعيّة، وهذه مع أنَّها خطوات مقنّنة وبين يديه مَقيَّدةٌ، فإنَّ استنارته العلميَّة قد تُمكِّنه من تجاوزها بحثًا إلى بلوغ الخوارق استنارة.

وعليه: بقدر ما تكون الاستنارة قيدًا على العقل تكون هي الممكِّنة له من كسر القيد.

والعقلُ في زمن الانتظار غفلة لا يكون إلَّا أميّةً بلا رؤية، أمَّا العقل في الزّمن بلا انتظار صحوة فلا يكون إلَّا دراية واستنارة؛ ذلك أنَّ العقلَ دراية هو تلك الحيويّة المستنيرة وعيًا، وهو الذي يعلم بالشّيء بعد أن كان لا شيئًا مجهولًا، كما أنَّه يعلم الحكمة التي تخفي من ورائها سرًّا.

والعقل دراية واستنارة ليس ذلك العقل الممنهج برؤية تعليميَّة ولا رؤية ثقافيَّة، بل هو ذلك العقل المتجاوز لدائرة الممكن تحدٍّ وخوارق، إنَّه العقل الممكَّن من دخول دائرة المعجز التي تدريك بكل شيء بين البداية والنهاية دون أن ترى أيّ منهما (البداية والنهاية).

ومع أنَّ الاستنارة عمليَّة عقليَّة فإنَّ مَن تمكَّن منها تمكَّن من طي صفحات الأميَّة إلى الأبد، ومع أنَّ الدّراية استنارة لا تُعلّم فإنَّ علومها تُعلَّم؛

فعلى سبيل المثال: دراية النبي محمَّد جعلته على نُقلة من الأميَّة إلى الدّراية التَّامة، أي: إنَّ ذلك النّبي الأمّي بعد أن أعلمه الله بالمعجزات أصبح نبيًّا يعلم ما لم يعلمه غيره، ومن هنا أصبح محمَّدٌ نبيًّا ومعلّمًا يعلم ويعلِّم غيره ما أُنبأ به إنباءً، وهو المعجز الذي لا يبلغه البشر إلَّا بأمر من العليم الحكيم.

ولذا فالأميّ هو الذي لا يدري ولا يعلم بما لم يُعْلِم به، والنّبي الأميّ هو محمَّد الذي لم يدرِ ولا يعلم بأمر الرِّسالة التي كُلِّفَ بها قبل تنزيلها عليه تنزيلًا؛ ومن ثمَّ فالذي لا يعلم بالشَّيء لن يكون له من الشيء شيئًا به يدري، أمَّا الذي يَعلَم فإنَّه يُعلِم بما أُعلِم به ويُعلِّمَه لمن هم لا يعرفونه ولا يدرون.

ومع أنَّ اللُّغويين كما جاء في لسان العرب قد عرَّفوا الأميّ أنَّه: "المنْسُوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أُمُّه، أي: لا يَكتُبُ، فهو لأَنَّه لا يَكتُب أميّ؛ لأن الكِتابة مُكْتسَبَةٌ؛ فكأَنه نُسِب إلى ما يُولد عليه، أي: على ما وَلَدَته أُمُّهُ عليه"[46]، فإنَّنا نرى في المقابل أنَّ الأميَّ ليس كذلك، بل هو مَن لا دراية له بما لا يُعلم به، ومن هنا فلا علاقة بين الأمّي وعدم معرفة القراءة والكتابة، فهذه العلاقة لا تكون إلَّا بين الجهل والتعلّم، أو بين التّيه والمعرفة، أمَّا الأميّة فليس لها علاقة إلّا بعدم الدِّراية والاستنارة؛ ومع ذلك فإنَّها حالة غير دائمة وهي قابلة للإزالة من الجميع في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

---

46 لسان العرب، ج 12، ص 22.

وعليه: فالعقل من حيث ملكاته هو العقل، سواء أكان في زمن الانتظار أميَّةً، أم أنَّه في زمن السِّباق صحوة (العقل هو العقل)، ولكنَّ الدّراية استنارة في زمن السِّباق صحوة اختلفت عمَّا كانت عليه في زمن الانتظار أميَّةً؛ ذلك أنَّ الدّراية لا تكون إلَّا استنارة وقد قدحت بنورها في عقل من تمّ اصطفاؤه للأميين نبيًّا.

والأميين هنا ليس كما يظن البعض من النَّاس أنَّهم أمَّة العرب فقط، بل هم كل الذين لم يعلموا من الرِّسالة الخاتمة إلَّا أنَّها رسالة وستنزَّل على نبيٍّ اسمه أحمد.

ومن هنا نعرف أنَّ الأميَّة كانت على العقل قيدًا وقد كُسرت بالرِّسالة الخاتمة بعد أن أدرى الله بها محمَّدًا -عليه الصَّلاة والسَّلام، واستناره بها معجزةً وحكمةً، وهو النَّبي الذي جاء داريًّا بها وللنَّاس كافة مبشّرًا ونذيرًا.

ومن هنا فالعقل أميَّة كان عقلًا بشريًّا عصبيّةً ورغبةً وشهوةً، أمَّا العقل بعد أن استنار أصبح عقلًا إنسانيًّا وعلى الدِّراية عدالة ومودّة ورحمة.

ومع أنَّ العقل فيه من الأميَّة ما فيه فطرة وشهوة، وله من الدِّراية ما له استنارة وحكمة، فإنَّه في كلتا الحالتين مقيّدٌ؛ ولذا فهو في زمن قيد الانتظار أميَّةً معفو عنه فيما ارتكبه بلا دراية، أمَّا في زمن الصّحوة استنارة فقيوده دراية قد كثرت[47].

---

[47] عقيل حسين عقيل، العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2022م، ص 8 – 70.

الاستنارة حُسن تدبُّر:

يعد حُسن التدبُّر التفاتة عقليّة بها يتجه الإنسان لنفسه وإلى ما ينبغي الاقدام عليه وفقًا للحاجة والضّرورة، سواء أكانت الالتفاتة لصوغ خطة عمل، أم لرسم سياسات، أم لحل مشكلة وفك علل تأزُّمها.

وحُسن التدبُّر عن وعي ودراية يجنّب صاحبه الوقوع في الفخّ، ويمكّنِه من إيجاد الحلول والمعالجات، وإيجاد كيفيَّة الدّخول إلى والخروج مِن؛ فالتدبُّر يتطلَّب الاجتهاد والمثابرة وفقًا للأهداف المراد إنجازها بموضوعيَّة.

ويعد حُسن التدبُّر اجتهاد عقلي وفكري يمكّن الإنسان من الالتفات إلى نفسه ومعرفة ما يجب أن يقوم به أو يقدم عليه في الزّمن الحاضر؛ ومن ثمَّ فالتدبُّر يتطلّب قبول الاستغراق في الحيرة وقبول تحديها تفكيرًا؛ حتى الخروج منها وعيًا ودراية، وعن بيّنة تمكّن الإنسان من:

- الخروج من الحيرة دراية.
- معرفة الحلّ.
- تجاوز المعيقات.
- إحداث النُّقلة.
- بلوغ الغايات.
- نيل المأمولات.

والتدبُّر الحسن لا يكون إلَّا عن دراية حسنة تستوجب تحديد الأهداف ووضوحها، ورسم السّياسات والخطط والاستراتيجيَّات التي تتطلّب عُدَّةً واستعدادًا مع وافر التهيؤ والتأهُّب وفقًا للإمكانات المتاحة والممكِنة، التي تُمكِّن من العمل وبلوغ الحلّ.

ولأنَّ حُسن التدبُّر وعيًا لا يمكن أن يكون عابرًا، إذن فلا يكون إلَّا عن تمعُّن ودراية تامّة بما يجب وبما لا يجب؛ قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[48]. ومع أنَّ مفهوم التدبُّر هنا جاء بمعنى أن القرآن كلّه يُعقل ويدرك؛ كونه آيات وشواهد بيّنة تدركها الحواس سمعًا وبصرًا ولمسًا وعقلًا وبصيرة، فإنَّ البعض تعمّد عدم التدبُّر في آياته المعجزة؛ أي: مع أنَّ آيات القرآن شواهد حقٌ فأنكرها الذين كفروا؛ قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}[49]؛ جاء في هذه الآية الكريمة مفهومًا يؤدّي إلى الاستغراب الذي لا يكون إلَّا في دائرة الممكن البشري، أمَّا بالنسبة إلى الله تعالى فلا استغراب؛ كونه يعلم الغيب والشهادة: {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[50].

أمَّا مفهوم قوله (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) جاء مفهومًا خاصًّا بأهل الكتاب من يهود ونصارى، كونهم يؤمنون بالله؛ ولهذا قال (لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ولمْ يقل (لِمَ تكفرون بالله)؛ لأنَّ أهل

---

[48] محمَّد 24.

[49] آل عمران 70.

[50] الجمعة 8.

الكتاب يعلمون بأنَّه لا مستحيل ولا معجز إلَّا من عند الله؛ أي مع أنَّهم يشهدون بذلك ويؤمنون بالله تعالى فإنَّهم كفروا بآيات الله التي يعلمون ويعرفون بأنَّها المعجزة للقول والفعل والعمل والقوّة وإن عظمت.

ومع أنَّهم أهل كتاب ويؤمنون بالله تعالى؛ فإنَّهم كفروا بالحق (كفروا بآيات الله)؛ ولهذا فإنَّ الله غني عن الكل، والكل في حاجة إليه، ومع ذلك فإنَّ أهل الكتاب أهل خصوص كونهم يعلموا الحقّ من عند الله: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[51]، وقال تعالى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[52]. تشترك هاتين الآتين في المفهوم ولكل الدِّيانات الإبراهيميَّة كون أهلها يعلمون الحق المنزَّل؛ ولذا فمن ينكر الحقّ المنزَّل يعدُّ من الكافرين حتى ولو كان من أهل الديانات الإبراهيميَّة.

وعليه: ينبغي على المؤمنين أن يتدبّروا القرآن حتى يتدبّروا آياته، آية من بعد آية؛ بغاية أخذ العبر والمواعظ من المعجزات والمستحيلات التي ليس لها مفاتيح معرفيَّة إلَّا في القرآن الكريم؛ قال تعالى: {قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى

---

[51] آل عمران 97.

[52] العنكبوت 6.

اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[53]. لقد كفر مِنْ أهل الكتاب مَن كفر؛ كونهم لم يتدبّروا القرآن آية من بعد آية، وهم كفروا لأنَّهم يعلمون الحقيقة ولكنَّهم أنكروها، أي: يعلمون أنَّ الله ليس المسيح ابن مريم؛ فهم فمع أنَّهم يؤمنون بالنبي عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام فإنَّهم لم يأخذوا بما أخبرهم به وأوصاهم وبشّرهم؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}[54].

ولأنَّ الخطاب موجّهٌ من النبي عيسى إلى بني إسرائيل؛ فبنوا إسرائيل هم الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم؛ وذلك بغاية الانحراف بالمسيحيّة عن صوابها المنزَّل. أي: لأنَّ المسيحيَّة جاءت منزَّلة وناسخة للديانة اليهوديَّة؛ فإنَّ الذين لم يؤمن من بني إسرائيل بالديانة المسيحيّة هم الذين قالوا: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ).

ومع أنَّ آيات القرآن شواهد تلفت العقل وتثيره، وتستفزّه فكرًا وعلمًا وبحثًا، فإنَّ بعض العقول عمدت أنْ لا تتدبّره؛ ومن هنا فالذين تدبّروه التفتوا إلى أنفسهم اعترافًا بالحقِّ؛ وذلك بالتفاتهم إلى آيات الخالق العظيمة التي جعلتهم على الايمان وهم في أحسن تقويم.

---

[53] المائدة 72 – 75.

[54] الصّف 6.

وعليه فإنَّ التدبُّر وعيًا يؤدّي إلى:

ـ إنجاز الأهداف.

ـ رسم السياسات.

ـ رسم الخطط والاستراتيجيَّات.

ـ معرفة الحلّ.

ـ تحقيق الأغراض.

ـ بلوغ الغايات.

ـ نيل المأمولات.

ـ تعظيم القيم الخيّرة.

ـ المزيد من الدّراية والمعرفة.

ـ المزيد من الخبرة والتجربة.

والتدبُّر مع أنَّه قيمة فإنَّه لا يكون إلَّا عن حيويَّة تدير الأمر الذي يستوجب حُسن التدبُّر، ومع أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا في ساعته، فإنَّه لا يكون إلَّا من أجل المستقبل قريبًا كان أم بعيدًا؛ ولهذا فالحاضر تدبّرًا هو ما يدركه العقل ويتبناه تخطيطًا وعملًا حتى يعيشه وجودًا، وكما يأمله في دائرة الممكن، ومن هنا فالتدبّر حُسن إدارة وجودة عمل، به ترسم السياسات والخطط وتُتّخذ التدابير الممكّنة من إيجاد معالجات لأيّ طارئ، فالتدبّر

دراية عقلية يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنّهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقلة سياسة واقتصادًا وعلمًا ومعرفةً، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقًا للفرضيَّات التي تأسّست عليها؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر ارتقاء يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزّمن الحاضر دون أن تترك أثرًا سلبيًّا.

ويتّسع التدبّر ارتقاءً ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة، إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيًّا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائمةً، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاء؛ فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في زمنه في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان رُقيًّا في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثّلًا لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة.

فالتدبُّر حلّ للمفاجآت التي يمكن أن تحصل، ولهذا لا يكون الحلّ نهائيًّا، بل وقتيًّا من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبّر مثالًا حاصلًا بالكيفيَّة الآنيَّة ما حصل في تشيلي لعمال المناجم

بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظُّلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السُّلطات التشيليّة إلّا بحثت عن حلّ سريع يكون به النّجاة لهؤلاء العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضرًا بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن التدبّر، فأدوات النجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى ذلك بأن يكون النّجاح حليف عمليَّة الإنقاذ، وهناك استعملت في عمليَّة الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم. وخضعت هذه الكبسولة للتجريب حيث عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليَّات إنقاذ العمال. فما كان من الخوف إلّا أن يكون حاضرًا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ فالبداية تدبّرًا كانت باحثة عن كلّ الأساليب التي تجعل من العمال يبقون على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمّا المهمّة الثَّانية؛ فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل إليهم إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض؛ فالتدبّر في حاضره كان في كلّ شيء يساهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطةً وحذرًا لم تكن واحدة، بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوفِّرة فيها تدبّرا كانت خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلّ سلامة، ولم يكن الخوف والتبّر قابعا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرًا عند سطح الأرض في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة العمال بما فيها النظّارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

وكذلك ما حدث مع الطّفل المغربي ريَّان ذو السنوات الخمس، الذي مأساته شدّة انتباه العالم وأنظاره يوم 1-2-2022م بمنطقة (باب برد) بالقرب من مدينة شفشاون، ريَّان الذي سقط في البئر وارتكن فيه ضيقًا على عمق 32 مترًا (منتصف عمق البئر تقريبًا)، ولقد بقي في البئر محصورًا في ضيقه حوالي 90 ساعة، وهو يعاني من شدّة الألم والبرد والجوع والخوف والرّعب من شدّة الظلمة؛ ولذلك يعد هذه الزَّمن طويلًا جدًّا على حياة الطفل وبخاصّة إنَّه لم يتمكَّن من الاكل ولا من الشُّرب، ولا من التدفئة، ومع أنَّه الوقت الطويل، فإنَّه بأسباب الحيطة والحذر تدبُّرًا كان ضروريًّا وفقًا لبساطة الآلات المستخدمة إذا ما قورنت بغيرها من الآليّات المتطوّرة تقنيةً، ويا ليت المتدبّرين أحسنوا تدبيرهم واستخدموا غيرها من الآليّات الأكثر تطوّرًا وتقدّمًا.

إنَّه البئرُ ضيّق القطر (لا يزيد قطره عن 35سم) مما جعل النزول إليه متعذرًا، ومع ذلك كان التدبّر يلاحقه حفرًا بغاية إخراجه حيًّا قدر الإمكان؛ فكانت الاستشارات بين الخبراء والدّول مع المملكة المغربيَّة بغاية إنقاذه؛ وذلك لتفادي تلك الانهيارات التي قد تحدث بأي علّة من العلل وتكون خطرًا على حياته وعلى حياة المنقذين حفرًا، ومع ذلك تم الوصول إليه حفرًا موازيًا بسلام؛ حيث لا انهيارات حدثت، غير أنَّ الاعمار بيد الله فلم يكن الوصول إليه في الزّمن المنقذ للحياة؛ فمات ريَّان، ولكن بحسن التدبّر لم يقبر في البئر، بل قبر دفينًا كغيره من الأموات.

ولهذا يتّسع التدبّر ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة إلاّ أنّه لا يكون حلًّا نهائيًّا، أو أن يتكرّر الحدث بتكرر الحلّ نفسه؛ ولذا أنَّ كلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائميَّة، لكنّها في وقتها قد تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة ومكتسية بثوابت افتراضية ممّا يكون مستقبلها حاصلًا ومنتميًا لهذه الافتراضات.

ومن هنا فإنَّ الشّخصيَّة المتدبِّرة تعتبر الحلّ الآني تدبّرًا يسهم في خلق فروض متعدِّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلّ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلّ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرُّؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيَّات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمراريّة حقيقية تكون رافدة للعمليَّة المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون

لها دور مهم في الإيضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عمليَّة نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلًا ومؤثّرًا.

وعليه: تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيَّات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها؛ كي تشغل حيزًا واضحًا في هذه المساحة التي تتّسع لكلّ الأطراف، أمّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة؛ كونها تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتّسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث، لأنَّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تدبّرًا غير منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النّظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب، وعليه:

. حُسن التدبّر من الحكمة.

. حُسن التدبّر من حُسن الإدارة.

. حُسن التدبّر يجوّد المنتج.

. حُسن التدبُّر مشاركة وفاعليَّة.

. حُسن التدبّر يمكّن من رسم السياسات الناجعة.

. حُسن التدبّر يمكّن من صناعة المستقبل.

. حُسن التدبُّر حيويّة عقليَّة وفكريَّة.

. حُسن التدبُّر يدير العقول.

. حُسن التدبُّر يمكِّن من النهوض.

. حُسن التدبّر يمكّن من إحداث النُّقلة.

. حُسن التدبّر يمكّن من تحدّي الصّعاب.

. حُسن التدبّر يمكّن من مواجهة المفاجئات.

. حُسن التدبّر يمكّن من إنجاز الأهداف.

. حُسن التدبّر يمكّن من إيجاد الحلول.

. حُسن التدبّر يمكّن من تحقيق الأغراض.

. حُسن التدبّر يمكّن من بلوغ الغايات.

. حُسن التدبّر يحفّز على نيل المأمول.

. حُسن التدبُّر يمكّن من كسر القيد.

. حُسن التدبُّر يمكّن من معرفة غير المتوقّع.

. حُسن التدبُّر يمكّن من طي صفحات الوهم.

. حُسن التدبُّر يمكّن من بلوغ الخوارق.

إذن: يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني وبين الزّمن الحاضر، أي لا تدبّر إلّا حاضرًا، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي

إليها الحلول الآنيَّة التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية؛ وذلك لأنّها لم تنتم إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع، لأنّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه؛ كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقًا لما هو ممكن سواء أكان الممكن متوقعًا أم أنَّه على غير متوقّع.

وهنا تباشر الشّخصيَّة المتدبِّرة وجودها من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكّل حاصلًا بكيفيَّة متوقّعة وغير متوقّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرًا بتقنيات مختلفة، إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبّيًا للواقع، ويكون الزّمن مفتوحًا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلّ المنشود أملًا.

والشّخصيَّة المتدبِّرة في حاضرها تبحث عن سُبل كثيرة تريد من خلالها الوصول إلى مبتغاها تدبّرًا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ يكون حسن التدبُّر موجّها للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلًا وحدوده يمكن تبيانها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصدّ والتحليل وللتمثّل، إلّا أنَّ غير المتوقّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرًا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن

تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلًا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبّيًا للمراحل المرادة، فالانزواءت غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب؛ ذلك أنَّ التدبّر يمرّ دائمًا بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو[55].

وعليه فإنَّ زمن التدبّر يكون فيه في دائرة الممكن الاحتواء على السّابق والتطلّع إلى ما يمكن أن يكون لاحقًا؛ ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

وعليه فالقاعدة الأخلاقيَّة ترى ضرورة:

. التواصل مع التَّاريخ.

. تقبُّل الآخرين.

. التواصل مع الآخر.

. التواصل مع القدوة.

. التطلّع للمستقبل.

. العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النّافع.

---

[55] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 . 131.

. استيعاب المختلف.

والاستثناء هو:

. عدم التواصل مع التَّاريخ.

. عدم تقبّل الآخرين

. عدم التواصل مع الآخر.

. عدم التواصل مع القدوة.

. عدم التطلّع للمستقبل.

. عدم العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. عدم استيعاب المختلف.

وعليه:

. أعمل على تفطين ذاكرة المتعلمين.

. بيّن لهم نقاط الضّعف التي تشوّه الذاكرة وتطمسها.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الصّائبة.

. مكّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

. مكِّنهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

ـ اغرس فيهم حبّ الآخر.

ـ حفّزهم على التطلّع الموجب.

ـ عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

ـ مكّنهم من المشاركة التي تُيسِرَ لهم النُّقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذَّاكرة تُصنع بقوّة الإرادة وقوّة العزيمة التي تخلق شخصيَّة قويّة متدبِّرة متحدِّية للصّعاب؛ فالشخصيَّة القويَّة المتدبِّرة هي التي لا تغفل عن معطيات الزّمن الحاضر ولا تنغلق عليها، بل تتطلّع إلى ما هو آتي؛ كي تصنع مستقبلًا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرّة؛ كونهم من المستهلكين المتكئين على ظهور الغير.

ومن ثمّ ينبغي أن يركز أخصائيو التنمية البشرية وعلم النّفس والخدمة الاجتماعيَّة على دفع العملاء إلى ما يحفّزهم على تفطين الذّاكرة وصناعة المستقبل الأفضل، الذي إن لم يسهموا في صناعته فسيفاجؤون بغير المتوقّع، ولذا تُفطّن الذاكرة بنوعية التواصل الذي منه:

ـ التواصل مع الفضائل الخيّرة.

ـ التواصل مع القيم الحميدة.

ـ التواصل مع المعلومة المستفزّة.

ـ التواصل مع المختلف.

. الالتفات إلى التاريخ وما فيه من المواعظ والعبر والتجارب والخبرات.

. التواصل مع أهل القدوة الحسنة.

. التطلّع إلى ما هو أفيد وأكثر جودة.

. قبول التحدّي.

ومن هنا فإنَّ مفهوم التدبُّر يرمي إلى الحكمة التي يصوغها العقل البشري بغاية الاقدام الآمن، أو الانسحاب الآمن، أو بغاية التحايل والالتفاف والمناورة.

ولذا فالعلاقة قويَّة بين إيجاد الحكمة وحسن التدبُّر؛ كون كلًّا منهما مولود حسن التفكير الموضوعي؛ حيث لا مجال للعاطفة على حساب تقرير المصير أو إحداث النُّقلة وبلوغ الغايات ونيل المأمولات.

وقد جاء مفهوم التدبُّر من أصل الكلمة وتصريفاتها اللغوية (دبَّر – يدبّر – تدبيرًا)، وهي بهذا المفهوم كمن يقول: (فكَّر – يفكّر – تفكيرًا)؛ ومن هنا ارتبط حُسن مفهوم الحكمة بحسن مفهوم التدبُّر دلالة ومعنى؛ ولذا فكما تخرج الحكمة أصحابها من التأزُّمات يخرج التدبُّر أصحابه من التأزُّمات أيضًا.

وعليه:

فحسن التدبر يمكّن من التواصل مع التَّاريخ ويصنع الذّاكرة، كما أنّه يُمكّن من التواصل مع المستقبل ويحقّق المأمول.

ومن ثمَّ يصبح التدبّر وحسن إدارته مُمكّنٌ من إحداث النُّقلة، ومحقّقٌ للرفعة المأمولة؛ ولذلك يجب على الحكماء وإخصائي التنمية البشرية والخدمة الاجتماعيَّة والرّعاية النفسيَّة إذا أرادوا المشاركة في التغيير إلى الأفضل أن لا يغفلوا عن القواعد المهنية التي تستوجب:

. تقبل العملاء كما هم.

. البدء معهم من حيث هم.

. الأخذ بأيديهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

. التأكيد على أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام المتحدين لها.

وهذه لن تتحقّق إلا بمراعاة الآتي:

. تفهّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفهم الخاصّة والعامّة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حمْلها.

. استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحيّز لطرف على حساب آخر.

. تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميًّا وثقافيًّا وحضاريًّا، في ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.

وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزّمن اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

وبما أنَّ ما يُقدّر اجتماعيًّا وإنسانيًّا، يجب أن يُوضع في الحسبان تدبّرًا. إذن على العلماء والحكماء والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وإخصائي التنمية البشرية الأخذ بالآتي:

. أن يضعوا في حسبانهم وتقييماتهم كلّ ما هو مُقدّر لدى العملاء أو الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. أن يُصنّفوا قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقًا لأولوياتها وأهميتها بالنّسبة لكلٍّ منهم.

. أن يمدّوا يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كلّ فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

. العمل على إحداث التغيير في النّسق القيمي للأفراد والجماعات أو العملاء، إذا اكتشف الأخصائيون أنّها تتعارض في البدائل القيميَّة المقدّرة اجتماعيًّا أو إنسانيًّا.

. العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النّافعة.

. تهيئة الأفراد لتقبّل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

وبناء على ذلك، تؤكّد القواعد المهنية للتنمية البشريَّة والخدمة الاجتماعيَّة على الآتي:

. التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيَّات المهنة بمهارات متنوّعة.

. التواصل ثقافيًّا ومعرفيًّا مع الأفراد والجماعات؛ لكي يصبحوا في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التي حادوا عنها بنسب متفاوتة.

. العمل على تمكين الأفراد أو العملاء من الاتصال مع حواضنهم الاجتماعيَّة، دون أن يغضّوا النَّظر عن أهميَّة قيم الآخرين.

. تمكين الأفراد والجماعات والعملاء من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصّة) حتى لا يُحّلقوا في الهواء خيالًا، بمنعزل عن الواقع، وما يمكن أن يتمّ الإقدام عليه من أجل المستقبل المأمول.

وعليه: ينبغي على كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ أمّة أن يتدبّروا أمورهم وإلّا سيجدون أنفسهم قد وقعوا في الفِخاخ.

أي: ينبغي أن يعرف الجميع أنّ حُسن التدبّر ينّجي من الوقوع في الفخ فلماذا لا يتدبّروا أمورهم؟ ولماذا لا يتعرّفوا على الفِخاخ حتى لا يقعوا فيها؟

وعليه:

. لاحظ حتى تميّز.

. تعلّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتّسع معارفك.

. شارك ومارس.

. اجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقّق النُّقلة.

. تفهّم وافهم لتتمكّن من معرفة الأسباب.

وبما أنَّ التطلّع إلى المستقبل يتطلّب جمع القوَّة الممكّنة من بلوغه (الممكّنة من تحقيق النُّقلة).

إذن: القوّة المجمّعة في الزّمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي؛ ولذا يعدّ زمن التدبّر قاعدة الوصول بين السّابق واللاحق أو أنّه البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار تخطيطًا بين متوقّع وغير متوقّع[56].

ولهذا ينبغي مراعاة الآتي:

. جمّع قواك لتتمكّن من صناعة المستقبل ونيل المأمول.

. تذكّر ما يمكن أن تتذكّره وتتحصّل عليه من الذّاكرة وما يمكن أن تستقرأه من الغير حتى تتمكّن من معرفة المزيد الذي كنت تجهله غفلة.

---

[56] عقيل حسين عقيل، الشّخصيَّة المتهيأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م، ص 94 – 108.

. اتصل وتواصل وثق أنَّ الخبرة لا تستمد إلّا من خبير.

. تعرّف على الجديد المفيد والنَّافع، حتى تتيسّر لك الأمور تجاه ما يطوي الهوة بينك وبين المأمول.

. تطلّع إلى الآخر وعلومه وثقافته وحضارته دون أن يكون ذلك على حساب قيم مجتمعك الحميدة وفضائل دينك الخيّرة.

. نافس فالمنافسة الشريفة تصنع الرُّموز وأهل القدوة الحسنة.

. نوّع مهاراتك ومعارفك، حتى تكون بين يديك أكثر من فرصة للنجاح والتفوّق.

. استوعب، تذّكر، اتصل، تعرّف، تطّلع، تفكّر؛ لكي تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُّقلة بعد حُسن تدبّر[57].

ولسائل أن يسأل:

وما الفرق بين التدبُّر والتذكّر والتفكُّر؟

أقول:

الزَّمن أوَّلًا؛ إذ لا تذكُّر إلَّا لماضٍ، ولا تدبُّر إلّا لحاضرٍ، ولا تفكّر إلّا لمستقبلٍ. ومع ذلك الكل يتم في الوقت الحاضر، فالذي يتذكَّر في حاضره ليس له إلَّا الالتفات إلى الورى، إلى ذلك الماضي قريبه أو بعيده، أمَّا الذي

---

[57] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 213 – 227.

يتدبّر أمره حاضرًا ليس له إلَّا العمل، وفي المقال فإنَّ الذي يفكّر في الزَّمن الحاضر بغاية مستقبله فليس له إلَّا رسم السياسات والخطط والاستراتيجيَّات إذا أراد بلوغ حلٍّ أو صنع مستقبل وإحداث نُقلة.

الاستنارة استذكار وعي:

مع أنَّ الماضي صفحات مطويَّة، فإنَّ المتصفح لصفحاته إذا تصفَّحها يجد النواهي على قيد الحياة حيّة، وكذلك يجد الأوامر، والعبر، والمواعظ، التي بها ترسم الاستنارة ابتسامتها العريضة في الأنفس، وفي القلوب، وفي العقول، حتى تترك على الوجوه آية.

ومن هنا فإنَّ التذكُّرُ مراجعة عقليَّة تفحصيَّة تطوي الزّمن الماضي بغاية الاسترجاع وعيًا بتلك الأحداث، أو الظّروف، أو المواقف، أو ذلك التَّاريخ الذي تمت معايشته والدِّراية به لتستحضره معلومة من بعد معلومة؛ وكلّ ذلك بغاية الاستنارة. وفي هذا الشأن تختلف مقدرة العقول من شخصٍ إلى آخر مما يجعل البعض يُذكّر البعض بما نسيه؛ كونه أحد شهوده.

ولهذا فالتذكُّرَ وعيًّا واستنارة يتطلَّب مقدرة عقليَّة للاستدعاء من ذلك الوعاء أو المحفظة (الذَّاكرة) التي هي دائمًا في حاجة للتفطين؛ كونها محفظة المعلومات والمعارف والمخزن الحصين الذي لا تكون مفاتيحه بيد الغير، إنّها مكمن الأسرار والصندوق الأسود للعقل البشري، الذي منه تستدعى المعلومة تذكُّرًا وفقًا للطلب أو الأمر المرغوب إرادة، وهنا تكون المعلومة

صادقة، أمّا إذا كان استدعاء المعلومة نتاج أفعال الكره والإجبار؛ فلا شكّ أنّها ستكون للضرورة ملبِّية للأمر، ولكنَّ الشكوك والظنون تملأها.

ولأنَّ الذّاكرة مكمن الأسرار ومخزن المعارف والخبرات والتجارب الإنسانية، فهي قابلة لأن تُنشّط بمزيدٍ من الانتباه والدّراية من خلال عمليَّات التذكّر والتدبّر والتفكّر؛ فينبغي على الإنسان أنْ يفكّر عن انتباه إذا أراد أن لا تضمر ذاكرته، وعليه بتنشيط ملكات عقله من خلال المران الذّهني وإجراء عمليَّات المقارنة التي تمكّنه من التمييز بين الدّقيق والأدق منه، ومن ثمّ تمكّنه من التفكير المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالعقول دائمًا في حاجة لأن تُمرّن حتى تمتلك القوّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتيسّر له مشاهدة وملاحظة الآخرين وردود أفعالهم تجاه الغير.

ومن ثمّ فعلى الإنسان أن يستدعي محفظته من الذّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم حالته تذكُّرًا حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل الآخرين.

فالإنسان إذا أراد نهضة وارتقاء؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الغير، حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح، ويتحدّى عقله تذكُّرًا وتفكيرًا في نفسه، حتى يدرك أسرارها وخفاياها، ومن ثمّ يعرف أنَّ قوّة البصيرة بقوّة التذكّر والتفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا

دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة؛ ولهذا فالفكر ارتقاء يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يتذكّرون أو يفكّرون فيه حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

ولهذا فتفطين الذّاكرة لا يكون إلّا نتاج الوعي بأهميَّتها للإنسان الذي له من الآمال ما له، وله من ورائها آمال تحدث النُّقلة والرِّفعة بغاية بلوغ المأمول ونيله؛ ولذا فتفطين الذّاكرة ضرورة تستوجب حُسن التدبّر الذي به تستدعى المعلومات من المحفظة تذكُّرًا، والذي به يصنع المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة؛ ومن هنا ينبغي الارتقاء فكرًا وعلمًا ومعرفةً وخُلقًا، وأسلوبًا، وإلّا سيجد البعض أنفسهم جالسين في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة، وهم بهذه الأعباء يُجهدون المنتجين ويُشَدّونهم للخلف ممّا يجعل الفارق كبيرًا بين الجهد المبذول من أجل بلوغ قِمم الارتقاء، وبين الحاصل المنتج الذي تُنتجه الصّفوة العاملة والمتطلّعة أمل وارتقاء.

ومع أنَّ الذاكرة حافظة، فإنَّها قابلة لأن توسّع معرفة، وتُنشّط تذكّرًا من خلال تمكّنها من معرفة الموروث المعرفي الواسع، وتنشّط تدبّرًا من خلال حسن الانتباه والالتفات لما يجب وقت وجوبه، وليس بعد أن يفلت ويصبح ماضيًا، كما أنّها تُنشّط بالتفكّر الذي يمدُّها بالحيويّة المحفِّزة على بلوغ الأمل.

ولأنَّ الإنسان يولد اجتماعيًّا حيث لا إمكانيَّة للعيش منفردًا، فهو في حاجة لمن يذكّره ويفطّنه ويعلّمه كيف يتدبّر أمره وأمر من تربطه به علاقات، ومع أنَّ هذه قاعدة اجتماعيَّة أخلاقيَّة فإنَّه كما يقولون: لكلّ قاعدة استثناء؛

فآدم وزوجه لم يمرّا بهذه المرحلة، وذلك بأسباب الخَلق الآدمي المتكامل؛ إذ لا طفولة لهما ولا مراحل نمو قبل النضج، فهما قد خُلقا على النضج خلقًا؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}[58]، وبالتّالي ليس لهما ما يتذكّران، ولكن بعد أن علّم الله آدم وأنبأه، أصبح لديه رصيد واسع من العلم والمعرفة؛ فيُمكنه أن يتذكّره، لِيُذكّر به الغير: {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ}[59]؛ فتلك الأسماء التي أصبحت في محفظة عقل آدم، وتمّ استدعاؤها، أنبأ بها الملائكة حُجَّةٌ؛ فسلّم الملائكة لآدم بعد إن كان الرأي اختلافًا.

أمَّا على المستوى البشري من بعد آدم؛ فالتّجارب الإنسانيَّة متشابهة، ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلولٍ علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي وتذكّر ما يحتويه من تاريخ وعبر ومواعظ من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم في الوصول إلى حلّ، حتى وإن كان افتراضيًّا، لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها؛ فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيّام. وقد يكون الخوف حاضرًا فيها؛ لكونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوَّة؛ فالبحث عن اتفاق وحلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّز ويرشد

[58] نوح 17.

[59] البقرة 33.

بطريقة أو بأخرى إلى تجنّب ما يجب تجنّبه وأخذ ما يجب الأخذ به؛ فيكون الاستشعار في هذا التوجّه قائمًا على درجة عالية من الحذر؛ كي تكون النّهاية ملبّية للخوف المجنّب من الوقوع في السُفليَّة ومؤدّيًا إلى ارتقاء مأمول.

فالذَّاكرة محفظة المعارف والخبرات والتجارب الماضية التي يمكن الاتعاظ بها في زمن التدبّر، والوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفًا على إرثٍ إنساني يمثل حقبة مِن حقب الماضي؛ فالتَّاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانيَّة سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويًا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبًا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطلب فيما بعد حاجةً ملحةً تكون حاضرة بشكلّ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيًا للبداية الافتراضيَّة التي كانت السَّبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الذّكرة للماضي فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانيَّة تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدَّائم متحقِّقًا في كلّ زوايا الماضي؛ ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنيَّة والمستقبليَّة حلولًا مهمة، إلاّ أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في بعض القضايا متحققًا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا

التفاوت؛ فتكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة تُمكّن الذّاكرة وعى ويقظة.

ومع أنَّ في الذَّاكرة يدخل الماضي حقل التراث، فإنَّه لم يكن من باب الجمود كأيِّ إيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والإيضاح الموقظ لما يجب أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فالإنسان يمر بظروف تكاد تتشابه كثيرًا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة؛ ممّا يطرح في الذَّاكرة وجود آراء مختلفة؛ تجرُّ إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرًا حتى في القضية الواحدة، إذ تحكمه الكثير من الظروف التي تتنوّع فلا تقف عن حدٍّ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلًا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون النّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور في الذَّاكرة إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية إلّا أنّها ممثّلة لاتجاهات فكريَّة كانت وراءها، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعية في الحلول؛ فالذّاكرة تحمَل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعيَّة التي يمكن أن تطرح على أيِّ صعيد، فلم يكن هناك حلًّا واحدًا لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا إلى درجة التماثل.

وفي الذّاكرة يكتنف الماضي الكثير من التشكيلات التي يكون الوصول إليها يمثّل قراءة واعية بما أسبغه عليها من طروحات، ولهذا نجد يومًا بعد يوم ظهور تأويلات مختلفة للماضي وقد تكون متناقضة، لكن هذا يدلل على وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطَّاته الشّاخصة التي تكون فيما بعد دروسًا يستفيد منها من يبحث عن حلّ لما يمرّ به الإنسان، ولهذا وجب العمل على تفطين الذّاكرة من خلال تمرينها تدبّرًا، وتنشيطها تذكّرًا وتفكّرًا.

ومع أنَّ للذَّاكرة علاقة بالتَّاريخ من حيث أنّها محفظةُ أحداثه وقضاياه، ولكن التَّاريخ دائمًا يطرح مغايرات مهمّة تكون عند أعتابها نهايات قد تتكرّر، وهذا يُسيّر عجلة الزّمن نحو إيجاد تعالقات متشابهة تكون أكثرها منتمية لبداية سعت دائمًا إلى حلحلت ما يمكن حلحلته في سبيل الوقوف على حدود واضحة المعالم، وهنا يكون السَّير في هذا الرّواق منكفيًا على تجارب حاضرة وملبّية في الوقت نفسه للتساؤلات التي يمكن أن تُطرح، فتكون التبعات متحقّقة كونها تمثّل امتدادًا مطلوبًا، والتَّاريخ فيه من السّعة ما يجعل الكثير من المقولات شاخصة في كلّ زمان ومكان، فمقولة (التَّاريخ يعيد نفسه) تتكرّر على كثير من الألسنة لكنَّها كما نعتقد أنّها لا تمثّل تشكيلًا عامًا في هذا النسق الإنساني؛ ولذا وجب تفطين الذَّاكرة؛ لكي لا يضيع التَّاريخ ولا يزوّر، ومع أنَّ الذَّاكرة حاوية التَّاريخ وحافظته، فإنّها لم

تكن جزء منه، ولهذا أحداث التَّاريخ تتكرر والذَّاكرة لا تتكرر؛ فالتكرار قد يحصل لكنَّه هل يحصل كما حصل في الماضي؟

هذا التساؤل يفضي بنا إلى أن نقول:

إنَّ التَّاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكن هذه الإعادة لا تكون بالتطابق التّام، لأنّ هذا الأمر يكون من الصّعوبة بمكان أن يتحقّق، ومع ذلك فالتّجارب الإنسانيَّة متشابهة ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلولٍ علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم بشكلٍ أو بآخر في الوصول إلى حلّ حتى وإن كان افتراضيًّا.

ولأنَّ التذكّر حيويَّة العقل فإنَّ كلّ التشكيل الذي ذهبنا إليه يكون الخوف في الذّاكرة حاضرا فيه؛ كونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوّة، فالبحث عن حلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّزه ويرشده بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن حلّ يكون من بعده سقوط أو تبدّد كلّ المخاوف القائمة؛ ولذا يكون الاستشعار في هذا التوجّه قائمًا على درجة عالية من الحذر كي تكون النّهاية ملبّية للخوف الأوّل الذي كان محفّزًا بدرجة جعل من آليات البحث عن حلّ خاضعة لهذا الخوف، وما سبقه من أحداث فيها من التشابه ما فيها، وفيها من الاختلاف ما فيها، وفيها من المتوقّع وما لم يكن متوقّعًا، ونتيجة لما تحمله

الذّاكرة من متناقضات تاريخية؛ فهي دائمًا في حاجة للتفطين والتنشيط حتى لا تُفقد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب والعبر والمواعظ[60].

وعليه:

يعد التذكّر الفكري عمليَّة من عمليَّات الفعل العقلي المتعلّق بالمراجعات والاستقراءات بغاية الاستنباط والاستمداد الممكِّن مِن تدبُّر الحاضر وصُنع المأمول والتفكير فيما يحفّز على بلوغه ونيله.

ويمثل الماضي خزينًا معرفيًّا متعدّدًا ومتنوّعًا، بما يستثير العقل ويحفّزه على الانتباه والأخذ بما يجب اتعظًا، فهو حافل بالكثير من التجارب المختلفة التي كان لها حضور واضح ومؤثّر سواء أكان ذلك على مستوى السّلب أم الإيجاب، ولهذا فإنَّ الوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفًا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي، والتَّاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانيَّة سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويًا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبًا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطّلب فيما بعد حاجةً ملحةً تكون حاضرة بشكلٍ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيًا للبداية الافتراضيَّة التي كانت السّبب في هذا الحضور.

---

[60] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

إنَّ استدعاء الماضي تفكيرًا فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانيَّة تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدّائم متحقِّقًا في كلّ زوايا الماضي؛ ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنيَّة والمستقبليَّة حلولًا مهمّة إلَّا أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في كثير القضايا متحقّقًا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ ولذا تكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة.

ويدخل التفكير الماضي حقل التراث لكن ليس من باب الجمود كأيِّ إيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والإيضاح، فالإنسان يمرّ بظروف تكاد تتشابه كثيرًا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة؛ ممّا يطرح هذا الاختلاف وجود آراء مختلفة وقد شكلّت هذه النهايات ممرّ تجرّ الأمور بعد ذلك إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرًا حتى في القضية الواحدة؛ إذ تحكمه الكثير من الظّروف التي تتنوّع فلا تقف عند حدٍّ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون

النّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية إلا أنّها ممثّلة لاتجاهات فكريَّة كانت وراءها، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعية في الحلول، فالماضي حمل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعيَّة التي يمكن أن تطرح على أيِّ صعيد، فلم يكن هناك حلًّا واحدًا لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا.

وعليه فإنَّ التذكّر يلفت الانتباه إلى أهميَّة الدّروس المتشابهة أو المتماثلة بغاية الاتعاظ وأخذ العبر وتفادي ما من شأنه أن يتكرَّر بذات المعطيات فيعيد نفسه وكأنَّ الماضي لم يمضِ عليه بأعوامه ودهوره.

ولهذا فالتذكُّر يمكّن المتدبّرين أمرهم في زمنهم الحاضر من الإصلاح والتصحيح كسبًا للوقت، واختصارًا للجهد، وتوفيرًا للإمكانات، ومن ثمَّ يخرجهم من التخبُّط والحيرة؛ قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}[61].

في مفهوم هذه الآية جاء الأمر صريحًا للنبي محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام بأن يذكّر النَّاس بالحقّ لعلهم يهتدون رغبة وإرادة؛ ذلك لأنَّ المهتدي رغبة وإرادة يكون أكثر النَّاس تمسّكًا بالحقِّ، وفي المقابل من يُجبر ويكره على الاتباع ولو كان الحقّ سيكون متخليًا عنه متى ما سنحت له الفرصة (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ). فهنا يتعلّق أمر التذكّر والتذكير بالمعجزات المنزّلة أمرًا ونهيًا،

[61] الغاشية 21، 22.

وهي الآيات التي تخبر عن كل ما أنزل متحقّقًا، وتبلّغ عمّا سيتحقّق لا محالة، أي إنَّها المذكّرة بما وقع وحدث وبما سيقع ويحدث يوم أن يأتي يومه.

أمَّا قوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) فمفهومها يُرسّخ: أنَّه ليس للرّسول إلَّا التذكير، أي لا خيار له في التذكير، وفي المقابل يصبح الخيار للمذكّرين بالقرآن رغبة وإرادة: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}[62].

ومع أنَّ الوعيد لا يتحقّق إلَّا في الزّمن المستقبل فإنَّ التذكير به حقّ؛ بغاية تجنّبه قبل أن يتحقّق؛ ذلك أنَّه اليقين الذي لا يستدعي إلَّا التسليم به حيطةً وحذرًا قبل أن يأتي يومه، وإلَّا سيكون الأوان وقد فات؛ ولهذا ليس للنبي إلَّا التذكير به قبل أن يصل يومه. فالله تعالى مع أنَّه يعلم بما يقول المشركون من تكذيب فإنَّه لا يقر الإكراه والجبر على الدين؛ ذلك أمر الله؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[63].

وبغاية مزيدٍ من التدبّر ينبغي أن نميّز بين مفهومي (التذكّر والتذكير).

الاستنارةُ تفكُّرًا:

التفكُّر عمليّة عقلية وذهنيَّة تستوجب حيويَّة بها يتمكّن الإنسان من إن يلتفت إلى نفسه؛ بغاية معرفتها (هي كما هي) لا كما يودّ لها أن تكون

---

[62] ق 45.

[63] الكهف 29.

عليه، إي: إذا أراد الإنسان أن يعرف ما حوله (قريبه وبعيده) فعليه بمعرفة نفسه أوَّلًا، ذلك لأنَّها هي العالم الذي خَلْقَهُ لا يكون إلَّا مستحيلًا، ومتى ما عرف أنَّ خلقه عن مستحيل فَلِمَ لا يفكّر في المستحيل حتى يعرفه مستحيلًا ويقف دونه مُسلِّمًا.

وعليه: التفكُّر مقدرة عقليَّة وكأنَّه حلقة وسط يربط الماضي بالحاضر والمستقبل؛ ومن هنا نجد التذكّر يتصل بالماضي وفقًا لأحداث وقد حدثت؛ وذلك بغاية الاتعاظ وأخذ العبر، وفي المقابل في الوقت الحاضر يتم التفكُّر في الزّمنين بغاية صُنع المستقبل المأمول ونيله.

ولذا يعد التفكُّر درجة من درجات الادراك العقلي للمراجعة بغاية المستقبل المأمول (استثارة العقل من الحاضر إلى الماضي بغاية التخطيط للمستقبل)

والتفكّر لا يكون إلّا في قضية أو موضوع أو مشكلة محيّرة، وهو من أعمال العقل وعمليّات الذّهن، وهو يُمكّن من المعرفة والدراية (ملاحقة المعلومة أو الفكرة) وإدراكها أينما كانت بحثًا أو تفكيرًا بهدف التخلّص من الحيرة المقلقة؛ فالتفكّر كونه يمكّن من إدراك الشيء قبل فوات أوانه، يعدّ حيويَّة العقل ونشاطه توجيهًا إراديًّا، وهو لا يقتصر على التفكّر في المتوفّر من المعلومات أو المتوفّر بذاته للمشاهدة، بل يمتدّ في دائرة الممكن إلى معرفة المزيد المضاف والمبدع.

ولأنّه التفكّر؛ فهو يلاحق كلّ ما يقع في الزّمن، وغايته معرفة طبيعة المتعرّف عليه، والاستفادة منه حاضرًا ومستقبلًا، أمّا غايته فهي: التجويد وإحداث النُّقلة وصُنع المستقبل، ونيل المأمول أو الفوز به.

ولهذا فالتفكّر تشغيل العقل وتوجيهه تفكيرًا فيما يجب أن يكون غايةً وأملًا، فإنْ كان المأمول مرتبطاً بماضٍ فتشغيل العقل تفكّرًا يقود إليه، مثل: أبونا آدم عليه السّلام الذي في زمانه أصبح يفكّر في العودة إلى تلك الجنّة التي افتقدها بعد أن أهبط به والأرض إلى الحياة الدَّنيا. أمّا بالنسبة لبنيه من بعده فالتفكّر يربطهم بالمستقبل المأمول، ولأجل ذلك وجب الاتعاظ حتى لا يتمّ الإغفال عن التفكّر في المستقبل: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[64]، فإنْ تذكر بنو آدم تلك الآلام التي حدثت بعلل التفكير اتعظوا، ومن ثمّ ليس لهم بدّ إلّا التفكّر فيما يجب أن يصنع لهم مأمولًا ومستقبلًا عظيمًا. أمّا التفكّر في المجرّد فدائمًا ينقل المفكّرين إلى ما يمكّنهم من المعرفة المضافة كما يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

ويرتبط التفكّر بالمستقبل المأمول وهو يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهميَّة كبرى في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجيَّة التي وضعت له اللبنات الأولى، فالمستقبل يعدّ الأرضيَّة الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ وبذلك يكون التفكّر عنصرًا مهمًّا في خلق

---

[64] الأعراف 176.

مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدمًا نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندًّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلًا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسّعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعليّة تثري التفكّر وتمنحه أبعادًا مختلفةً ومهمةً، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيًا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شموليّة مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر[65].

ولذا علينا أن نميّز بين مفهومي (يتفكَّرون، ويفكّرون)؛ قال تعالى: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ}[66]؛ قال يتفكّرون ولم يقل يفكّرون؛ ذلك لأنَّ قوله (يتفكّرون) يرسّخ بدون شكّ مفهومًا واضحًا ودالًا على اسبقيّة خلق السّماوات

---

[65] عقيل حسين عقيل، من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 89 . 96، 2018م.

[66] آل عمران 191.

والأرض وجودًا خَلقيًّا، ولأنَّها آياتٌ شاهدةٌ فهم في خلقها يتفكّرون، أي: يتفكّرون في كيفيّة خلقها آيات معجزات وسابقة على وجود العقل المدرك لها يقينًا معجزًا، ذلك العقل الذي كلّما أدركها سلّم اعترافًا بالمستحيل الذي لا يكون إلَّا بيد الخالق الأعظم جلَّ جلاله.

أمَّا لو قال: (ويفكِّرون) فهنا يصبح الأمر متعلّقًا بما يجب أن يكون، وليس بما هو كائن وهو المرسّخ بقوله (ويتفكّرون). أي إنَّ مفهوم القول (يفكّرون) يتضمّن في معناه التردّد وكأنَّ السّماوات والأرض ليست بشاهدة أمام المدركات الحسيَّة؛ ولذا فقوله يتفكّرون يستند على الحجّة الماثلة أمام المشاهدة والملاحظة، أمَّا القول يفكّرون يشير إلى أنَّ الحجّة قد لا تكون بين الأبصار أو أنَّها غائبة، ولهذا فهم في حاجة ولو لبرهة من الزّمن ليفكّروا في الأمر؛ ولذلك فالذين تفكّروا في خلق السماوات والأرض اعترفوا بالحقّ المنزَّل حُجّةً وبرهانًا (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ). وقال تعالى: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ}[67] تتعلّق هذه الآية بقصّة الوليد بن المغيرة والد خالد بين الوليد (سيف الله المسلول) الذي لما سمع من القرآن ما سمعه من الرّسول استشعر في نفسه أنَّه الحقّ، ومع أنَّه قال: إنَّه الحقّ فإنَّ قومه ضغطوا عليه وعلى رأسهم أبو لهب، بأنْ ينكر اعترافه بالحقِّ، أي إنَّه فكّر بين أمرين: الإيمان أو الكفر؛ ولذا فهو بين أمر الاعتراف بالحقِّ، وبين ترضيّة قومه كفرًا؛ ومن ثمَّ فقد كفر بالحقِّ، أي إنَّه على الرّغم من تفكيره استكبر على الحقِّ

[67] المدثر 18.

ومال إلى تقدير قومه، أي: بدل أن يُقدِّر كلام الله وقوله؛ قدّر القول الذي من دونه؛ ومن هنا فإنَّ التفكّر الذي يؤدِّي إلى عدم الاعتراف بالحقيقة وإنكار الحق لا يعد تبدّرٍ؛ ذلك أنَّ التفكُّرَ يعني:

. حُسن التفكير.

. حُسن الاختيار.

. حُسن القرار.

. حُسن الحكمة.

. حُسن الدِّراية.

. حُسن القول.

. حُسن الحُجَّة.

. حُسن البرهان.

. حُسن الاستنارة.

. حُسن التخطيط.

. حُسن الفعل.

. حُسن العمل.

. حُسن السُّلوك.

وعليه:

مع أنَّ المستقبل لا يكون إلَّا في الزّمن الآتي بعد كلِّ قول أو فعل أو عمل، فإنَّ صُنعه لا يكون إلَّا في الوقت الآن؛ ولذا فصُنَّاع النُّقلة من الوقت الآن إلى المستقبل يعملون ليلًا نهارًا من أجل تحقيقها عملًا به تتغير الأحوال من مستوياتها الدنيا إلى المستويات المأمولة رفعة.

ومن هنا فصُنع المستقبل تَفكير وتخطيط وعمل مُضني بغاية إحداث النُّقلة إلى الأفضل والأجود مما عليه الإنسان في زمنه الحاضر إلى مستقبلٍ يأمله وهو الأرفع مما هو عليه من أحوال علميَّة وسياسيّة واقتصاديَّة ونفسيَّة وأخلاقيَّة، ولأنَّ نيل التقدير والاعتراف يحقّق النُّقلة النّوعيّة، فهو الممكِّن من تجاوز المستويات القيميّة الثلاثة (الذاتيّة والانسحابيّة والأنانيّة) والامتداد إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، كما يعتمد على التعليم والتعلّم استطلاعًا لإحداث نُقلة عظيمة تغيّر الأحوال إلى أحوال مملوءة منفعة وطمأنينة مع وافر الرّضا.

ولهذا فالقاعدة هي:

ـ العمل على تحقيق النُّقلة.

والاستثناء هو:

. البقاء على حالة من التخلّف.

ولذا فحسن التفكُّر والاعتراف بما يُبذل من جهودٍ حسنٍ، يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسيّة والرّضا النفسي ويغرس الثّقة، التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب، وتمدّه بقوّة الالتزام الأخلاقي الذي يحسّس الآخرين بأهميّة العمل على رد الجميل أو الفضل بما هو أجمل وأفضل منه.

ولأنَّ التقدير قيمة رفيعة وكذلك الاعتراف قيمة رفيعة بين النَّاس الذين يميّزون بين ما يجب وما لا يجب، فإنّ نيل كلّ منهما مبدأ أخلاقي وإنساني، وهنا يقول فرنسيس فوكو ياما: إنَّ الرَّغبة في الاعتراف والتقدير المحركان للتاريخ هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبراليّة، وكذلك يؤكد هيجل كيف أنَّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التَّاريخ في معركة دمويَّة من أجل المنزلة والمكانة الرفيعة.

ولأنّ حُسن التدبُّر وحُسن التفكُّر والتقدير والاعتراف تمكِّن من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ لذا فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية عند من يبادلك الاعتراف، أو ينتظر أن تقدّمه له قيمة؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبوديّة، يأمل أن يكون سيّده راضيًا عنه؛ ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التّعب من أجل شيء مهم جدًّا هو نيل التقدير والاعتراف من سيده، بأنَّه عبدٌ مخلصٌ ومطيعٌ ومهذبٌ؛ ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيّده منه، وهكذا حال المتعلّمين الذين يتنافسون على أخذ الصّدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز)

من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهما، ومن ذوي العلاقة بهم، ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني وإلّا لماذا يبدلون المزيد من الجهد، وأيضا هكذا حال من يقول الحقّ، ويعدل إذا حُكّم، وحال من يعمل ويزرع ويصنع ويتصوّف أو يتعبد بموضوعية، أو يدخل المنافسات في المناشط المتعدّدة (الرياضيّة والفنيّة والثقافيّة والعلميّة والجماليّة) فهؤلاء جميعهم يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الآخرين الذين هم في محيطهم البيئي؛ إذ لا نُقلة بدون اعتراف وتقدير لما يجب ولمن يجب.

أمَّا الذين يعانون من حالات انسحابيّة فأمرهم غير ذلك؛ فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمّية التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

ـ كُن حسن التفكّر؛ لتكون أكثر استنارة.

ـ كُن حسن التفكّر؛ لتصبح أكثر دراية.

ـ كُن حَسن التدبُّر؛ لتعرف ما لك وما عليك.

ـ تجاوز بحسن تدبّرك الوقوف عند التنظير.

ـ استعد للعمل عن حُسن تدبُّر.

ـ تهيأ للعمل عن حُسن تفكّر.

. تأهَّب للعمل عن حُسن تفكير.

. أقدم على العمل والمأمول نصب عينيك.

. أقبل بتحدِّي الصّعاب فإنَّها لا تستطيع الصُّمود أمام المتحدين لها.

.كن إيجابيًّا لتنل التقدير.

.كن متفهِّما لتحدث النُّقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنل التقدير منهم.

. ثق أنَّ الاعتراف يحقق قيمة التقبُّل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. ثق أنَّك لن تحدث النُّقلة بدون جهود تعاضدك.

. ثق أنَّك قادر على كسر القيد فلا تتأخر عن كسره.

. تأكّد أنَّ القيد قد كُسر؛ حتى لا تقع في فخّه أكثر من مرّة.

. ثق أنَّ صُنع المستقبل لا يكون إلَّا في الوقت الحاضر.

. ثق أنَّ زمن الحيرة تدبُّرًا لا يصمد أمام الصَّامدين فاصمد حتى وإن شعرت بضيق.

. ثق أنَّك بالاعتراف والتقدير تنال الاحترام وتُزال من أمامك المعوقات.

وعليه ينبغي على المسئولين أنْ لا يغفلوا عن:

. حُسن التدبُّر وفقًا للإمكانات يُمكّن من إنجاز الأهداف.

. حُسن التفكّر يُمكّن من بلوغ الغايات ونيل المأمولات.

. تفعيل منطق (النّحن) بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوّعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد، والذين يشتركون في رسم الخطط والإستراتيجيّات لمجتمعاتهم أو دولهم أو لوضع رؤية مع الغير.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنَّهم مفردات أساسيّة في الدّولة، ولهم حقوق يجب أن تمارسها، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسئوليَّات ينبغي أن تُحمل؛ حتى يصبح منطق الجميع: (نحن معًا) من أجل إحداث النُّقلة للجميع.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهمّيّة هذه القيم الاستيعابيَّة، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها؛ فهذا الأمر يجعلهم تحت مظلة الاحتضان الاجتماعي الذي يمدّهم بالدّفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم لبعض، وتقبُّلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيميَّة ذات أبعاد أخلاقيّة وأبعاد إنسانيّة جليلة.

. ضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة بين العاملين والمتعلمين، وبين أفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وبين أصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعدّدة، وبين أصحاب الحاجات المنقوصة والحاجات المشبعة؛ ذلك لأنَّ الرّب واحد والدّين واحد، والنُّقلة العظيمة لا تكون إلَّا بالجميع ومن أجل الجميع.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابيَّة التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة بغاية إحداث النُّقلة رفعة إنسانيَّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطيّة بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيميَّة أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافيَّة واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسئوليَّاتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمريَّة للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة؛ حتى

يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن، والعمل على إشباعها ونقلهم مما هم عليه إلى ما يجب أن يكونوا عليه نُقلة.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض، ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسريّة، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخليَّة أو خارجيَّة، أم أمر سلم، أم حرب، أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (أنّهم لن يكونوا قادرين)؛ ولذا فلا إمكانيَّة لتحقيق النُّقلة ما لم يتمكن الجميع من المشاركة البناءة.

. التأكيد على أهميَّة ممارسة الديمقراطيّة بشفافيّة، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصّعاب وصُنع المستقبل المأمول نُقلة.

. التأكيد على أهميَّة الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي وتحقيق الوحدة الوطنيّة رفعة.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التمسّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة الممكن من إحداث التغيير وبلوغ النُّقلة علمًا ومعرفةً ودرايةً.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهميَّة كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة للآخر وحاجته إليه.

. التخطيط إلى كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسئوليّات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيّات قانونًا ودستورًا؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلميّة والسياسيّة والاقتصاديّة، للتعرّف على المتغيرات المستحدثة، التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، والإفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الإستراتيجيّات التي تحقق النُّقلة ورفعة الشأن للفرد والجماعة والمجتمع، بل وللإنسانية جمعاء مع وافر المحبَّة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّوليّة؛ تحقيقًا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع المشتركة.

. ترسيخ لغة ومفهوم (النحن)، حتى لا تسري الشخصانيّة والأنانيّة في سلوك وأفعال بني الوطن؛ ذاك لأنَّ كلمتي (أنا) و(أنت) تسمح بمسافة

امتداد فراغي لتجذب مشاعر الخوف إليها، ومن ثمَّ فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع (الأنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثّقة، التي ينبغي أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة (أنا) الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحريّة ينبغي أن أعم النّاس، وأنا الشفافيَّة ينبغي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصًا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِّمت به الآدميّة، وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم حجّة إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليّات تُحمّل، وأنا كلمة حقّ لا بدّ أن أقال، وأنت الباطل لا بد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، وأنا صاحب السُّلطة ومالك الثروة، وأنت الذي استولى عليهما بغير حقّ؛ فأرحل خير لك من أن ترّحل؛ ولذا فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ وفي المقابل نحن معًا نحدث النُّقلة.

من هنا تتَّضح قيم (النّحن) الاستيعابيّة، التي تُمكِّن الأفراد من حُسن التدبُّر والالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافيَّة تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسم مشتركًا.

. تفهَّم ظروف النَّاس يتم تفهّم ظروفك.

. التفت للنَّاس يلتفتون إليك، وفي المقابل إن أعطيتهم بظهرك فلن تجد إلّا ظهورهم في وجهك.

ولأنَّ التمسّك بالمنطق تمسّكٌ بالقواسم المشتركة. إذن فالتمسّك بالقواسم المشتركة (قاعدة)، والتخلّي عنها (استثناء).

ومن هنا ينبغي العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهميّة حُسن التدبُّر والتمسّك بالقواسم المشتركة؛ حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء والتهميش.

ولهذا من أجل حُسن التدبُّر وإحداث النُّقلة ينبغي أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. التقريب القيمي بالقواسم المشتركة.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمراريّة علائقيّة.

. الشفافيّة وضوح في القول والفعل والعمل والسُّلوك.

. الأخذ بما يجب يمكّن من إحقاق الحقّ.

. إحقاق الحقّ يمكّن من إحداث النُّقلة.

. إحداث النُّقلة يمكن من بلوغ المأمول ونيله.

وعليه:

إنَّ حُسن التفكّر وتفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيّة يؤدّيان إلى التطلُّع والقّوة والنّمو ويحدثان النُّقلة؛ أمّا إهمالهما فيؤدّي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

ولذا فالتمسّك بحجّة المنطق يستوجب سيادة التفهُّم بين أطراف الحوار الذي به يتم تقدير الظّروف الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، فهذه الظروف من طبيعتها لا تتساوى بين الأفراد؛ حيث الفروق الفرديَّة، والفروق في الإمكانات المتاحة.

ولأنَّ المنطق يستند على الحُجَّة والبرهان وفقًا لمعطيات أو مسلّمات تتضمّن حقائق ودلائل وإثباتات موضوعيَّة؛ فإنَّ اعتماد المنطق والحُجَّة بين الأطراف المشتركة في وحدة الموضوع يُعد تمسكًا بالقواسم المشتركة بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات التي ينبغي دفعها إلى صُنع المستقبل بنُقلة بها تتغير الأحوال إلى ما يفيد وينفع ويعظم المكانة ويرسخ السيادة الوطنيَّة.

الاستنارة تُمكّن مِنْ رفعةِ السِّيادة:

مع أنَّ الاستنارة عقليَّة ونفسيَّة وفكريَّة، فإنَّه لا قيمة لها إن لم تمتد قيمًا، حتى يتمّ تجسيدها في الأفعال والأعمال، وبها تدار الحياة سيادة، حتى يتمدّد المواطن بحيويَّتها إلى النِّهاية دون أن يتمدَّد أحدٌ على حسابِ حقوقهِ وواجباتهِ ومسئوليَّاتهِ؛ ومن ثمَّ يُصبح المواطن راية الوطن التي يستظل جميعُ المواطنين بها.

وعندما تسود السِّيادة الوطنيَّة يُصبح الشَّعب تحت راية الوطن دستورًا منظمًا للعلاقات وضابطًا لها، وليس هكذا عبثًا تحت رحمة السُّلطان وتحت رحمة الحكومة؛ مما يجعله قادرًا على اتخاذ قراراته بلا ضغوطٍ، وقادرًا على تنفيذها نُقلة من أجل الوطن؛ وعيًا ودرايةً وإرادةً ومسئوليَّةً، ولا مخاوف.

ولأنَّها السّيادة؛ فبسيادتها بين النَّاس هويَّةً يستقرُّ الشَّعب وينهضُ وعيًا ودرايةً واستنارة، ويستقر النِّظام وتنهض الدِّيمقراطيَّة سلوكًا وممارسةً، وتستقرُّ الدَّولة وتنهض بناءً وإعمارًا، وفي المقابل إذا انكسرت السِّيادة بأيَّة علَّة فلا استقرارَ، ولا ديمقراطيَّةَ، ولا أمنَ، ولا نهضةَ؛ ولذا فلا قيمة لأيّةِ دولة ما لم تكن السِّيادة فيها رفعةَ شأنٍ عند مواطنيها وعند الغير.

ومع أنَّ لمفهوم السِّيادة دلالةً ومعنًى نظريًّا، فإنَّ التغنِّي بها وبمفهومها النَّظري لا يعني شيئًا ذا قيمة ما لم تُصبح السِّيادة الوطنيَّة فيها وفقًا للآتي:

ـ دستورًا (عقدًا بين الشَّعب) على الكبيرة الصَّغيرة؛ من أجل ممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي (استفتاء وانتخابًا).

ـ امتلاك الإرادة؛ إذ لا تغييبَ، ولا تهميشَ، ولا إقصاءَ، ولا وإكراهَ.

ـ ترسيخ الهويَّة؛ كونها العنوان العام لكلِّ المواطنين بمختلف ألوان طيفهم عِرقًا، ودينًا، وعرفًا.

ـ ترسيخ الكرامة؛ كونها قيمة الإنسان اعترافًا وتقديرًا واحترامًا.

ـ ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسئوليَّات قرارًا وتنفيذًا ورقابة وتقويمًا.

وعليه: فإنَّ كثيرًا من الأشياء يُمكن أن تستبدل أو تباع أو تشترى إلَّا السِّيادة، التي إنْ ضاعت ضاعت الهويَّة معها، وهكذا كل شيء يمكن استبداله بغيره إلَّا الوطن فإنْ ضاع فلن تَجِدَ له سوقًا لتشتريه.

وكثيرٌ من الأشياء بعللِ الضَّرورة أو الحاجة يمكن الاستغناء عنها إلَّا السِّيادة؛ فهي ترتبط بالكرامة والمصير الذي يرسِّخ قيمة الإنسان، والذي متى ما فُقد فقدت الكرامة معه.

ومع أنَّ السِّيادة إنْ فُقدتْ فلا أسواقَ لها ولا بديلَ، فإنَّ استردادها في دائرة الممكن ليس بمستحيلٍ، ولكنَّ ثمنَ الاسترداد ليس هينًا؛ فالسِّيادة إنْ ضاعت لا تردَّها إلَّا التضحيات.

ومع أنَّ لاستردادِ السِّيادة الوطنيَّة قيمةً فإنَّه لا سيادة إلا بامتلاك الإرادة الوطنيَّة التي تعني: امتلاك الشَّعب لزمام أمره؛ حيث ينتفي الإكراه والتَّوجيه وفقًا لمسار سياسات وأفكار خاصَّة، أو شخوصٍ بعينهم.

ولهذا يُعَدُّ امتلاك الإرادة امتلاك حريَّة اتخاذ القرار الممكِّن من تحقيق مصلحة الوطن العليا مع قبول تحدي الصِّعاب؛ من أجل ترسيخ السِّيادة الوطنيَّة، وفي المقابل فقدان الإرادة يلغي كل ما من شأنه أن يجعلَ الشَّعب حرًّا ذا سيادة.

ومن هنا، في دائرة المتوقَّع لا استغراب أن تسترد السِّيادة المسلوبة إذا امتلك الشَّعب إرادته بعد أن سُلبت منه تحت ظروف استثنائيَّة، ومن ثمَّ فالقوى التي تظن أنَّها قد قضت على إرادة الشَّعب فستفاجأ بما لم تكن تتوقَّعه، مما يجعل التخويف بالموت والتلويح به هو وحده المشجع على حب الموت، والمطالبة به، والإقدام عليه من أجل السِّيادة.

وعليه: فمن أجل استرداد السِّيادة الوطنيَّة ستلاحق الشعوب الموت أينما كان حتى لا يلاحقهم حيثما يكونوا؛ كونهم واثقين أنَّ الموت لا يخيف، بل الاستسلام للقتلة وحده المخيف، مع إيمانهم التَّام أنَّ الموت لا يأتي إلَّا مرَّة واحدة، ولا يتكرر أبدًا، كما أنَّهم يؤمنون أنَّ من يطلب الموت دفاعًا عن الدِّين والشَّرف وسيادة الوطن تكتب له الحياة الدَّائمة التي لا موت مِنْ بعدها.

ومن ثم، فالجبناء وحدهم لا ينعمون في الحياة الدنيا، ولن ينعموا بالحياة الباقية؛ ولهذا دائمًا الخوفُ رحمةٌ، والجبنُ عارٌ.

ولذا فإنَّ الشُّعوب التي تطلب الموت من أجل الحياة قادرة على استرداد السِّيادة الوطنيَّة متى ما سلبت منها بغير حقٍّ، ولكن: أي إرادة يمكن بها أن تسترد السّيادة؟

إنَّها الإرادة المستقلة (غير التَّابعة) التي تجعل من مالكيها لاعبين أساسيين في المشهد الوطني، وليسوا دُمًا بأيدي الغير.

وعليه: عندما تُفقد الإرادة الوطنيَّة لا يمكن أن يكون للوطن سيادة؛ فالوطن الذي تستباح حدوده لا يمكن لأهله أن يقال عنهم: إنَّهم سادة.

فليبيا على سبيل المثال: بعد 17 من فبراير 2011م أَسْقَطَتْ العقيدَ معمر القذافي ونظامَه، ثمَّ من بعده سَقَطَتْ الدَّولة برمَّتها، وبالتَّالي أصبح في ليبيا حكومتان متخالفتان، ومجلسا نوابٍ متخالفان، وجيشان يتقاتلان، وعدد كبير من الكتائب والمليشيات المسلَّحة الموازية لكل المؤسَّسات العسكريَّة والضبطيَّة والأمنيَّة التي هي الأخرى متوازية خلافًا بين شرق وغربٍ وجنوبٍ؛ فهذه الدَّولة وما يمكن أن يكون على مثلها هل يمكن أن توصف بأنَّها دولة ذات سيادة؟

دولة فُرض على شعبها مجلسٌ رئاسيٌّ برؤيةٍ واختيارٍ أجنبيٍّ كما جرى بالتمام تحت إشراف المبعوث الأممي (مارتن كوبلر) مبعوث الأمم المتحدة إلى ليبيا؛ وذلك بعد لقاءات أجراها في مدينة الصُّخيرات المغربية بتاريخ 17 من ديسمبر 2015م؛ حيث اجتمع بمجموعة من الليبيين الذين فُرِزُوا برغبةٍ واختيارٍ أجنبيٍّ، وليس برغبةٍ واختيارٍ ليبيٍّ؛ إنَّه المجلس الرِّئاسي الليبي الذي لم ينتخبه الليبيون، ومع هذا أصبح ذلك المجلس كما يمثل الليبيين في الداخل يمثلهم في المحافل الدوليَّة أيضًا، مجلسٌ هذا حاله، فهل يمكن له أن يكون خيرَ ممثلٍ للسِّيادة الوطنيَّة؟!!

وكذلك تمَّ اختيار مجلسٍ رئاسيٍّ ورئيس حكومة بعد ذلك المجلس المنتهي الصَّلاحيَّة، فهذا المجلس ورئيس حكومته قد تم انتخابهم يوم 5 من

فبراير 2021م بمدينة جنيف السويسريَّة من قِبَل 75 شخصًا ليبيًّا، ومع أنَّ الخمسة والسّبعين (75) ليبيون فإنَّ اختيارهم جميعًا لم يتم من قِبَل الليبيين رغبةً وإرادةً، بل تم اختيارهم جميعًا من قِبَل الأجانب، وعلى رأس مَنْ انتخبهم نائبة المبعوث الأممي لليبيا: (ستيفاني وليامز) الأمريكيَّة؛ ولذا فالذين تم انتخابهم للمجلس الرِّئاسي البديل والحكومة البديلة على الرَّغم من أنَّهم لا يمثلون الإرادة الليبيَّة والرَّغبة الليبيَّة، فإنَّهم بلا شكٍّ سيكونون الممثلين لليبيا في جميع المحافل الدّوليّة، ومن ثمَّ أقول: أين السيادة الوطنيَّة الليبيَّة؟!!

ولأنَّ الْمُخْرِجَ الأجنبي (ستيفاني وليامز) تريد أن تُبعد عنها تهمة اللاديمقراطيَّة فبعد أن اختارت (75) ليبيًّا مع فقدان شخص منهم بعد موته من إصابة كورونا 19، حيث أصبح العدد المشارك في الانتخابات 74 شخصًا، وهم الذين من قِبلهم تمَّ انتخاب المجلس الرّئاسي البديل وانتخاب رئيسٍ للحكومة، بعد ذلك قرَّرتْ (ستيفاني وليامز) من خلال 74 شخصًا: (أن يتمّ عرض المنتخبين على مجلس النَّواب الليبي؛ لاعتمادهم والتصديق على اختيارهم وبكل شفافيَّة)، ثمَّ أقرَّت قرارًا آخرَ ملزمًا: (إنْ لم يتمَّ الاعتماد من قِبل مجلس النُّواب الليبي المنتهي الصَّلاحيَّة-كونه المنتخب لسنة واحدة فقط وما زال مستمرًّا في عامه السَّابع حتى الآن- يعاد عَرْض المنتخبين من قِبل الأربعة والسبعين (74) إلى الأربعة والسبعين(74) أنفسهم؛ لاعتمادهم والمصادقة على انتخابهم) فيا لها من ديمقراطيَّة وشفافيَّة!!!، ومن هنا، فهل

يمكن لنا أنْ نصف هذه اللعبة الدِّيمقراطيَّة بلعبة ترسيخ الشَّفافيَّة لسيادة الليبيين؟!!

وعليه: فمن لا يُنتخب من قِبل الشَّعب وإن ادّعى بما شاء له أنْ يدَّعيه فلا يمكن له أن يكون ممثِّلًا لسيادة الشَّعب والدَّولة، وهنا بالتمام تكمن العلَّة التي لا تنفكُّ إلا باسترداد السِّيادة الوطنيَّة، والتي لا تكون إلَّا عن رغبة وإرادة مع وافر الاستنارة؛ حيث لا إكراه.

ومن هنا سيظل أمر السِّيادة في خبر كان إلى أن تُسترد بعد أن تُطوى صفحات الاختيار والانتخاب بالرَّغبة الأجنبيَّة كرهًا؛ فالشَّعب الذي حُكم ولا رأي له في مَن نُصِّب عليه حاكمًا تحت مظلة الأجنبي فبرفضه وقبوله التحدِّي مع قبول دفع الثَّمن يستطيع أن يسترد سيادته ويكون حاكمًا ولا رأيَ ولا قرارَ إلَّا بيده.

ومن ثم لا حوار وطني، ولا مصالحة وطنية، ولا أمن سياسي واقتصادي واجتماعي من دون إرادة وسيادة وطنيّة مستنيرة؛ ولهذا وجب استرداد السِّيادة التي تقسَّمت بين مجلس نواب ومجلس دولة ومجلس رئاسي، وكلها هياكل منتهية الصلاحيَّة، وليس لها وحدة رأي أو قرار.

وعليه: فإنَّ السِّيادة الوطنيَّة عنوان الشَّعب الذي له دولة مستقلَّة ذات سيادة على ترابها وقرارها، ولها جيشها الوطني ومؤسَّساتها الوطنيَّة التي لا تتبع الغير، ولا سلطان عليها بغير حقٍّ، سواء أكان من الدَّاخل أم من الخارج، أي: لا يعلو على سيادتها أي كيانٍ سياسيٍّ أو اجتماعي، وبالتالي:

السِّيادة الوطنيَّة عندما تكون إدارتها عن دراية واستنارة فلا تستثني من الشَّعب أحدًا، سواء أكان فردًا أم جماعةً، وهي واحدة لا تتجزأ وغير قابلة للتصرُّف فيها، ولا يُتَنَازَلُ عنها أبدًا، حتى وإن نُزعت بعلَّة من العلل، فالعلَّة لا بدَّ أن تزول، والسِّيادة لا بدَّ أن تسترد عن وعيٍ واستنارةٍ.

ولأنَّ هذا القرن الواحد والعشرين هو عصر الدَّولة الوطنيَّة فلا إمكانيَّة لعودة رؤى العصور الوسطى التي كانت لا ترى سيادة إلَّا لمن يندرجون تحت عنوان الكنيسة؛ حيث بقيت هذه الرُّؤية سائدة إلى أن جاء عصر اليقظة الذي تزعمه المفكِّر الفرنسي (جان بودان) عام 1576م بقوله: (السِّيادة هي السُّلطة العليا التي يخضع لها جميع المواطنين وهي التي تعمل القانون)، أي: إنَّه جعل أمر السِّيادة متعلِّقًا بالمواطنة، وليس بالدين؛ ولهذا دائمًا كلُّ من يحاول أن يربط مفهوم السِّيادة بالأديان ليس له إلّا الفشل، لأنَّ الدين لله، والله -جل جلاله- ربّ الكل، ولا إمكانيَّة لسيادة شعب على شعب أو دولة على دولة، والشَّعب يمتلك إرادته الحرَّة.

ولهذا فالأوطان التي تؤسَّس عن إرادة تكون ذات سيادة، أمَّا الأوطان التي تُرغم شعوبها المختلفة على الانصهار وفقًا لرؤية عقائديّة فليس لها إلَّا التفكك والانقسام، وانطلاقًا من هذه المعطيات فليبيا في دائرة الممكن لن تُقَسَّم؛ كونها ثقافة واحدة، ودينًا واحدًا، وعلاقات اجتماعيَّة متداخلة النسيج والمخاطر تحوطها من كل جانب دون أن تفرّق، وتاريخًا فإن لها رمزًا وطنيًّا يتغنى به كل الليبيين اعتزازًا وهو الشَّيخ الشهيد (عمر المختار)، الذي

كان جِهادهُ من أجل السِّيادة الليبية فقطع الطريق أمام كل من يأتي من بعده مدعيًا أنّه رمزٌ لسيادة الليبيين، وهذا لا يعني ألَّا تأتي الرّموز من بعده، بل الرّموز سيادة من بعده لا تأتي إلَّا سيادة شعب بأكمله.

ولذا فمن أجل استرداد السّيادة الوطنيّة فإن من حقّ الشّعوب أن تقرر نظام دولها، وألوان راياتها، وأناشيدها الوطنيّة، وعليهم أن يختاروا إرادةً أيَّ نوع من أنواع الإدارة يفضّلون؛ بغاية تخلّصهم من المركزيّة المقيتة، وتمكّنهم من السّيادة على أرضهم، وسيطرتهم على مقدّراتهم، وتؤهّلهم إلى قبول التحدّي؛ من أجل صناعة المستقبل المأمول وطنيًّا وحضاريًّا (قيم حميدة، وعلم متقدّم، وتقنية عالية الجودة، وبيئة صحيّة خالية من الآفات)؛ لتكون دولهم ذات سيادة وطنيّة؛ تعرف ما لها وما عليها، ويكون مسئولوها قادرين على التمييز بين ما يجب الإقدام عليه وما يجب الإحجام عنه، ومن ثم تصبح الإرادة فيها: إرادة شعب ودولة وحكومة، ولكل صلاحيّاته واختصاصاته ومسئوليّاته وحقوقه وواجباته الدستوريّة والقانونيّة، وإلّا ستظل الدّول تتبدّل بين انتكاسة وأخرى، والشّعب ضحيَّة بين هذا وذاك بلا سيادة.

وعليه فإنَّ السّيادة الوطنيّة سيادة إرادة، وليست نتاج قرارات فوقيّة يتخذها السَّاسة الذين تميل ولاءاتهم إلى الأحزاب المنتمين إليها على حساب مصلحة الوطن وولائهم إليه؛ ولذا فالسّيادة الوطنيّة رفعة منزلة وهي الصّفة القانونيّة الملازمة لصفة الدّولة، والتي متى ما زالت عنها هذه الصفة زالت.

ومن ثم علينا أن نميّز بين السِّيادة الوطنيّة والسِّيادة السِّياسية؛ فسيادة الوطن سيادة الشَّعب، أمَّا السِّيادة السِّياسية فهي سيادة الحاكم في شخصه أو سيادة الحكومة التي تكون في كثير من الأحيان تحت ضغوط لا تجعل لديها إرادة حرّة، سواء أكانت ضغوطًا داخليَّة أم خارجيَّة؛ ولذا فلا قرار وطني من دون سيادة وطنيّة وشعبها على الدراية والاستنارة.

ومن هنا عندما تنفلت الإرادة السِّياسية عن السّيادة الوطنيَّة فإنها تضعفها وتعطّلها، وقد تنقلب عليها وتكون على حسابها وهذا بالتمام ما يجري في معظم بلداننا وأوطاننا، ويا ليته لم يجرِ ولا يتكرر.

وعليه: فإنَّ تحقيق السّيادة الوطنيّة الليبيّة في ظل وضعها المُدَوَّل أمرٌ صّعبٌ، ولكنّه لن يكون مستحيلًا إذا امتلك الليبيون إرادتهم الحرّة، وانفكوا من التبعيَّة؛ سواء أكانت إقليميَّة أم دوليَّة، ثمّ انفكوا من قادة الفوضى الذين سادوا عليهم بقوَّة السَّلاح كرهًا، وهذا الأمر هو الآخر ليس هيّنًا ما لم يتوحّد الجيش على مبادئ سيادة الوطن لا على سيادة من يمتلك السِّلاح ويسطو على السّلطة سطوًا.

إذن: لا إمكانيَّة للسّيادة الوطنيّة في ظل مليشيات تمتلك السِّلاح، وتمتلك المال، وتهيمن على السُّلطة في البلاد مع مساندة من قوى إقليميّة ودوليّة، مع العلم أنَّ هذه القوى السّائدة على حساب سيادة الوطن ستعمل كل ما في وسعها لإعاقة إي اتفاق توافقي بين الليبيين أو على الأقل تعطيله؛ ذلك لأنَّ اتفاق الليبيين يعني نهاية المتغوّلِين على حساب سيادتهم وإزاحتهم

من المشهد، وهذا الأمر بالنسبة إليهم أمر حياة أو موت؛ ولذا فلا سيادة لوطن تسود فيه المليشيات والكتائب المسلّحة، ولا إمكانيّة لاسترداد السّيادة بما أنَّ المليشيات ما زالت متغوّلِة.

وهكذا الحال في بلاد اليمن التي سادت فيها الفوضى حتى كسرت سيادة اليمنيين كما كسرت الفوضى سيادة الليبيين والسّوريين والصّوماليين والعراقيين، ومن ثمَّ أصبح الجيش اليمني منقسمًا، والكتائب المسلّحة منقسمة، والمليشيات تمتلك السّلاح ولا مرجعيّة لها إلَّا رؤوس عصاباتها، والثّائرون على المظالم لم يتمكّنوا من حسم الصّراع، والحكومة اليمنية قراراتها لا تنفّذ يمنيًّا وإن قَبِلَ البعض بها.

في بلاد اليمن الجرح عميقٌ جدًّا؛ حوثيون ثاروا على المنظومة السَّابقة، والدَّعم يأتي إليهم من الخارج، وحكومة باسم اليمن لا تستطيع أن تقف على قدميها في بلاد اليمن على الرَّغم من الدَّعم والمساندة الإقليميّة والدّوليّة، وبنوك الدّم بين هذا وذاك تطالب بالمزيد، ورائحة الموتى في أنوف كل اليمنيين، وكل فريق يصف موتاه بالشُّهداء، وفي المقابل يصف موتى الفريق الآخر بأنَّهم من أهل النَّار، يمني يقتل يمني، وليبي يقتل ليبي، وسوري يقتل سوري، وعراقي يقتل عراقي، ولبناني يقتل لبناني، وجميعهم أخوة يتقاتلون، وكل فريق يدَّعي الشهادة لموتاه؛ وكأنَّ الشهادة في دولنا فرضت بغاية قتل الأخ لأخيه.

ومن هنا فأمر حسم الصّراع في بلاد اليمن لا يمكن أن يكون إلَّا بثمنٍ آنٍ، وثمنٍ لاحقٍ؛ فالثّمن الآني: لا إمكانيَّة لحسم الصِّراع يمنيًّا وإن رغب اليمنيون؛ ذلك لأنَّ قضية اليمن مدوَّلة، وإلَّا ماذا يعني المبعوث الأممي إلى اليمن؟ يعني: لا إمكانيَّة لحلٍّ في بلاد اليمن من دون قرارٍ دوليٍّ من الأمم المتحدة، وهنا حالها كحال ليبيا وسوريا، ومن قبلهما العراق والصُّومال.

أمَّا الثَّمن اللاحق: فهي تلك الخطةُ الملعونةُ والمستهدِفة إضعاف العرب وفقًا لقاعدة: (فرق تسد)؛ فالعرب كونهم أمَّة لها تاريخ فهم أمَّة مُخيفة؛ إذ صنعوا الحضارات منذ زمن عاد، وثمود، ودولة سبأ، وحضارة الأهرامات، وحدائق بابل المعلقة، وحضارة الأندلس، وفوق ذلك إنَّهم أمَّة ولها دين جعل منهم أمَّة لا تركع ولا تسجد إلَّا لله، وشعارهم: (الله أكبر)؛ ولأنَّهم أمَّة تقبل الجوع ولا تقبل بكسر الكرامة والسِّيادة فعبر التَّاريخ والخطة الملعونة: (فرق تسد) تلاحقهم، حتى كسروها وفتَّتوا وحدتها وجعلوها شعوبًا ودولًا، ومع ذلك ما يزالون يلاحَقُون؛ خوفًا من أن تلتئم الشعوب وتعود الحضارة التي سيكون عنوانها: العرب (الأمَّةُ والدِّين).

ولذا فإنَّ اليمن هي البوابة الرَّئيسة التي إن حُسم الصِّراع فيها مغالبة ستكون أرض الخليجِ كلُّها مباحةً لكسر سيادات الشُّعوب فيها، وبقراءة خريطة العرب يلاحظ أنَّ الخطة الملعونة: (فرِّق تسد) مركَّزة على إيقاد نيران الفتن بين المكوِّنات الاجتماعية والجهويَّة في المغرب العربي، ومركزة على قلب العروبة مصر مسلمين ومسيحيين، والسُّودان قُسِّمَ، ومع ذلك هناك

استهداف لمزيدٍ من التقسيمِ، أمَّا الخليج والشَّام الكبير فإنَّ التركيز على إيقاد نار الفتنة بين السُّنَّة والشِّيعة، والمسلمين والمسيحيين، والعرب والأكراد، ومع أنَّ الخطة الملعونة مستهدِفَة استخدام إيران في دعم الشِّيعة على حساب أهل السُّنة أينما كانوا، وفي بلدان الخليج على وجه الخصوص؛ فإنَّ إيران هي الأخرى مستهدَفة مثلها مثل العرب؛ أمَّة ولا بدَّ أن تكسر.

ومع أنَّ الأمَّتين مستهدفتين بالكسر وعدم النُّهوض الحضاري فإنَّ الأمَّة الفارسيَّة متيقظة بالخطورة؛ ولهذا فهي تعمل، وقد بلغت من إنتاج السِّلاح ما يخيف الخصم، ومن ثمَّ فأهل الغرب (أوروبا وأمريكا) يميلون إلى التفاوض معها؛ بغاية إحداث التوازن في المنطقة؛ ذلك لأنَّهم يعرفون قيمة الخسارة إن لم يُفَاوِضُوهَا وهم معترفون بها قوّة.

إذن: إيران إن لم يتم استيعابها فستشكل خطرًا على الخصم الموجود في المنطقة، عربٍ وغير عربٍ، وأهل الخطة الملعونة يعرفون ذلك ويقفون دونه تفاوضًا، وفي المقابل يعملون ما في وسعهم على ألا يتصالح العرب مع الإيرانيين؛ لأنَّ أهل الخطة: (فرِّق تسد) لا يرون العرب والإيرانيين إلَّا فخارًا يجب أن يُكَسِّرَ بعضُه بعضًا.

ولأنَّه الثَّمن اللاحق كما سبق تِبْيَانُهُ فاليمن إذا حُسم الصِّراع فيها مغالبة فستكون المملكة العربيَّة السُّعودية في المرمى، والبحرين في المرمى، والكويت في المرمى؛ ذلك لأنَّ دول الخليج بلا شكّ ستصبح بين فكي

الفارسيَّة الشيعيَّة وَمَن يواليها من العراق شمالًا ومن اليمن جنوبًا، وهذا لا يتم إلَّا بنظرة المتوقّع، أمَّا بنظرة غير المتوقّع فكل شيء متوقّع.

ومع أنَّ أهل الغرب مواقفهم تتبدَّل مصلحةً ولا ثوابت من أجلها، فإنَّ فكرة: (فرِّق تسد) عندهم ثابتة؛ ولذا وإن اختلف الرّئيسان (ترامب وبايدن) فإنَّ السياسة الأمريكيَّة في زمن الرَّئيس السَّابق ترامب لن تختلف عنها في زمن الرّئيس الحالي بايدن تجاه تلك الفكرة: (العرب أمَّة مخيفة، ولا إمكانيَّة للتخلّص منهم جملة واحدة، وأنَّ الإيرانيين أصبحوا أمَّة مخيفة، ومن ثمَّ فليس لنا إلَّا إيقاد نيران الفتنة بينهم).

ومع أنَّ الخلاف يبدو ظاهرًا بين الإيرانيين والغرب فإنَّ باطن التَّاريخ لا يبعد إيران عن سياسات أهل الغرب، ومن هنا قد تتبدَّل المواقف تجاه إيران ولكنَّها لن تتبدل تجاه تلك الفكرة.

وعليه: فإنَّ ظهور الحوثيين قوّة في منطقة الخليج يستوجب قراءة موضوعيّة؛ كونهم يمنيُّون وليسوا إيرانيين وإن تمذهبوا على مذهبها أو ما يشابهه، فظهور الحوثيون قوّة لا شكّ أنَّه سيبعث عصبيَّة الحيويَّة المذهبيَّة في كل أهل الشِّيعة في منطقة الخليج، ومن هنا فالعنوان الذي أُطلق على ثورات الرَّبيع العربي سيأخذ حيويَّته في أنظمة دول الخليج بحيويَّة أهل الشِّيعة.

ولذا، فمع أنَّ مؤشِّرات إدارة الرَّئيس جو بايدن تشير تجاه إمكانيّة إيجاد تفاهمات ومفاوضات سلميّة بين أهل اليمن بمختلف ألوان طيفهم من جهة والمملكة العربيَّة السعوديَّة والإمارات من جهة أخرى، فإنَّ أهل تلك

الفكرة الملعونة سيطيلون زمنَ التفاوضِ إلى أن يتبيَّن لهم مخرجٌ بأقل الخسائر، أو أن يكسبوا مواليين من بين الصُّفوف المتقاتلة حاليًا في اليمن؛ إنَّه اليمن الذي فقد السَّعادة بعد أن كان سعيدًا، ويا ليته يستعيد سعادته سيادةً وطنيَّةً.

إذن: يا ليت أهل اليمن يتوافقون قبل أن يُحسم الأمر مغالبة، وقبل أن ينحاز الأجنبي إلى طرف على حساب وجود طرفٍ آخر، ومع ذلك فإنْ حدثت المغالبة يا ليتها تكون من أجل وحدة اليمن دولة من الحدود إلى الحدود، وقبل أن يفكِّر أحدٌ ويتمدَّد على حساب حرِّيَّات الآخرين أو على حساب سيادة أوطانهم.

ومع أنَّنا ضدَّ المغالبة بشكلها المطلق فإنَّنا بالمطلق مع مغالبة الحقِّ للباطل، ومع أنَّنا نأمل أنْ يُحسم الخلاف توافقًا ومصالحة بين اليمنيين، فإنَّنا نعرف أنَّه لا حلَّ للمشكل المدوَّل إلَّا بما يرضي أهل تلك الفكرة الملعونة: (فرق تسد)؛ ولذا وللأسف الشديد فأيّ حلّ لا يرضيهم لا يعدُّ إلَّا وقودًا لإدارة عجلة الفوضى في بلاد اليمن كما هو وقودٌ لإدارتها في ليبيا والعراق وسوريا ولبنان والصُّومال.

وعليه: كلّما سادت الفوضى في دولنا ساد رؤوسها فوضى، وسادت مصلحة الأجنبي من خلفهم على حساب مصلحة شعوبنا وسيادتنا، ومن هنا تنشط الطَّائفيَّة في لبنان الذي لن تُستعاد سيادته ما لم تطوَ صفحات

الطَّائفيَّة والتحاصص الطَّائفي الذي ساد على حساب سيادة اللبنانيين ومصالحهم.

وهكذا بالتمام الحال في سوريا التي انكسرت سيادتها على أيدي أبنائها اقتتالًا؛ ولذا فلا إمكانيَّة لعودة السِّيادة الوطنيَّة في سوريا ما لم تطوَ صفحات الاقتتال وصفحات احتكار السُّلطة، التي يجب أن تطوى في كل الدِّول بغاية استرداد السِّيادة الوطنيَّة، التي إنْ لم تُسترد فلا إمكانيَّة لنهاية الصِّراع والاقتتال حتى وإن توقَّف الاقتتال مؤقَّتًا تحت أيِّ ضغط من الضُّغوط الإقليميَّة والدّوليَّة.

وعليه: فلا سيادة لأيّة دولة شعبها يتقاتل، أو يتربَّص بعضه ببعض تحت أيّ عنوان من العناوين الحزبيَّة المتأدلجة، أو الطبقيَّة المقللة لشأن البعض من النَّاس، أو الطائفيَّة والقبليَّة التي تتمركز حيويَّتهما على العصبيّة وإن اختلفت كيفيَّةً وأسلوبًا؛ ولذا فأيّة دولة تسيطر عليها هذه العناوين هي فاقدة للسِّيادة الوطنيَّة التي تستوجب الاسترداد بطي كل الصَّفحات التي فُتحت على حساب صفحة الوطن وسيادة شعبه.

وإذا نظرنا إلى خريطة العراق نلحظ أن الدَّولة ذات سيادة، ولكن إنْ عبرنا الحدود ودخلنا بغداد فنلحظ أنَّ البعض متربص بالبعض؛ سنَّةً وشيعةً، وعربًا وأكرادًا، وديانات أخرى وأعراق متعدِّدة الصِّفات، وولاءات بعضها داخلي وبعضها خارجي، والكل لم يرضه الآخر، مما جعل حيويَّة السِّيادة الوطنيَّة العراقيَّة بين هذا وذاك في مهب الرِّيح؛ ولذا فإنْ أراد العراقيُّون استرداد

سيادتهم الوطنيَّة كرامةً وهويَّةً فعليهم بطي هذه الصَّفحات، وفتح صفحة الوطن الذي فيه الحقوق تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسئوليَّات تحمل، ولا إقصاء ولا عزل سياسي، ولا تغييب مع وافر الاحترام لحريّة الاستقرار والتنقل، مع ضمان حريّة التملك بلا استغلال، ومن ثم فلا ضابط للتداول السّلمي على السُّلطة، ولا ضابط للعلاقات بين الشَّعب إلَّا الدُّستور المستمدّ سيادة من الشَّعب العراقي.

ولسائل أن يسأل:

وكيف حال تونس رأس حربة الرَّبيع العربي؟

أقول:

مع أنَّ تونس بعد ثورتها في دائرة غير المتوقَّع قد فاجأت أصحاب الفكرة الملعونة وضربت مثالًا لممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي، فإنَّ أصحاب تلك الفكرة بدأوا يلتفتون إليها تشويشًا؛ ولذا فإنْ لم يلتفت التونسيون إلى بعضهم البعض محبَّةً ومودةً فسيادة تونس وأنموذجها الديمقراطي سينتكسان لا محالة.

أمَّا بقيَّة بلدان المغرب العربي فسياساته مختلفة؛ منها السَّاكن، ومنها المتحرك؛ فالجزائر –أكبر كتلة سكَّانيَّة فيه– والمغرب بينهما نيران الفتنة باستفزازات أصحاب الفكرة توقد بين الحين والحين، والأمر لم يحسم بعد؛ ذلك لأنَّ أصحاب الفكرة يعوِّلون تشويشًا على الدَّاخل المغربي والدَّاخل

الجزائري وإن طال زمنه أو تأخَّر قليلًا، وهكذا بالتمام الحال الموريتاني؛ أحزاب مختلفة وأحيانًا تتخالف إلى أن يحسم الأمر وتصبح الديمقراطيَّة بشفافيَّة هي العنوان.

ومع أنَّ أصحاب الفكرة التي لعنَّاها مرات عدَّة لم ولن يسمحوا لوحدة بين العرب، ولا لقيام الدَّولة القويَّة، فإنَّهم بحقٍّ يأملون قيام الدَّولة بلا دكتاتوريَّة قامعة للحريَّة، أي: مع أنَّ صدورهم في بعض الأحيان تضيق من التعدد غير المنضبط بقواعد اللعبة السياسيَّة، فإنَّ لنا في صدورهم مساحة واسعة غايتها أن تمارس شعوبنا الحريَّة بأسلوبٍ ديمقراطي وشفَّاف؛ فعلى سبيل المثال: مع أنَّهم اتفقوا على طي صفحة صدام حسين، وزين العابدين بن علي، وحسني مبارك، ومعمر القذافي، وعلي عبد الله صالح، وكذلك طي صفحة بشار الأسد الذي انقضَّ الأسد عليه لولا أيدي الرُّوس فإنَّهم في زمن الفوضى بدأوا يفكّرون في شخصيَّات لقيادة هذه الدّول؛ حتى يتمكَّنوا من التفاهم معهم بدلًا من دولٍ لا يسودها سوى الفوضى.

ولذا فإنْ أراد العرب كرامة وهويّة وسيادة لشعوبهم فعليهم بطي صفحات الخلاف والفُرقة، وعليهم بقبول الآخر هو كما هو لا كما ينبغي أن يكون عليه من وجهة نظرهم الخاصَّة، وعليهم بالتَّداول السِّلمي على السُّلطة، وطي صفحات الشَّخصنة، والآراء المتأدلجة وفقًا لرؤية شخص دون سواه، وعليهم بالدَّولة الوطنيَّة التي لا سيادة فيها إلَّا للشَّعب، وعليهم

بتحدِّي الصِّعاب علمًا ومعرفة؛ بغاية البناء والإعمار وإحداث النُّقلة إلى مأمولات عظيمة تجعلهم قمّة.

ومن ثمَّ فعليهم بطي صفحات التبعيَّة والاعتماد على الأجنبي والاستئساد به على بعض من بني الوطن، أي: عليهم بالعودة إلى عقولهم بوصلة؛ لعلَّهم بها يُرشدون، وعليهم بمد الأيدي إلى أهل العلم والتعاون معهم؛ بغاية المستقبل المشترك إنسانيًّا، وعليهم بإعادة قراءة التَّاريخ؛ ليتمكَّنوا من تصحيح ما قرأوا منه مشوهًا برؤية الأنظمة والحكومات التي زوَّرت تاريخهم وتاريخ كثير من الشعوب والأمم، ومن ثمَّ فعليهم بمعرفة أنفسهم إذا شاءوا أن يغيروها، ويجعلوا لها هويَّة وسيادة[68].

الاستنارة تطلُّعًا:

الاستنارة تطلُّعًا رؤية، تَصنع المستقبل، وتُحدث النُّقلة؛ بغاية بلوغ المأمول ونيله، وبهذه الرُّؤية التطلُّعيَّة لا يكون التطلّع إلَّا للأفضل والأجود ولأفيد، الذي به تتحسّن أحوال النَّفس والعقل على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي وعلى مستوى الدّولة.

والاستنارة تطلُّعًا لا تكون إلَّا عن وعي ودراية ومعرفة وافية تخلوا من التخبط والتيهان، حيث لا استظلام بين الأهداف والأغراض والغايات والآمال المأمولة.

[68] عقيل حسين عقيل، استرداد السيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م، ص 7 – 25.

والمستوى التطلُّعي استنارةً هو المستوى القيمي الذي يجعل الشّخصيَّة في حالة ميل من المستوى الذَّاتي إلى المستوى الموضوعي، ويجعل علاقاتها الاقتصاديَّة علاقات مجتمعيَّة؛ لأجل خدمة الجميع دون تمييز أو تحيُّز، ولأنَّها تعتمد على التحليل المنطقي فإنَّ الاكتشاف العلمي سيكون من مميزاتها الموضوعيَّة والإبداعيَّة؛ ولهذا فهي في حالة رغبة للعمل المنتج؛ لأجل إبراز قدراتها المتميزة عن غيرها من العاملين أو المنتجين، ولأنّها شخصيَّة متطلّعة للمستقبل فإنّها تميل إلى التّعرف المباشر على التقنية؛ ولذلك لا تتأخر عن الاتصال لأجل استعارة التقنية التي ترى فيها معطيات التّقدم ومبررات العصرنة، إنّها الشخصيّة المنسجمة القادرة على التوفيق بين ظروف المجتمع ومتغيرات الحداثة.

ولهذا فالشّخصيَّة المتطلّعة هي التي تتطلّع لِما هو أفضل على مستوى الذّات ومستوى الآخر، وبالنسبة إليها الاعتدال في قول الحق منطق، والاعتراف به اعتراف بما ينبغي، وإنكاره إنكار للحقيقة، مع العلم أنَّ إنكار الحقيقة لا يُلغيها، وعليه إنَّ الشّخصيَّة المتطلِّعة هي التي تتمسّك بحقوقها وتمارسها، وتؤدّي واجباتها، وتتحمّل مسئوليَّاتها، وتعترف بأنَّ للآخرين ما يماثل ما لها، فهذه الشخصيَّة تعيش حالة التقمّص؛ حيث تستعير شخصيَّة الآخر وتسعى للذوبان فيها، بوصفها القدوة التي تعتقد أنّها الأفضل، وهذا يدلّ على أن الشّخصيَّة في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يكون، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكّر ويسعى استنارة لأن يكون على مستوى أفضل

ارتقاءً، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة، وهذه الظّروف تمكّنه أيضًا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها، سواء في حالة التمركز التّام أو في حالة التطلّع لِما ينبغي، هذه هي الشخصيّة المتطلِّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كلّ تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كلّ ظرف وكلّ حالة، لا تعمم سلوكيّاتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنّها الشّخصيّة التي توصف بذاتيّة تميل إلى الموضوعيّة؛ وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقّع منطقي، إنّها الشخصيّة التي تميل إلى المشاركة في الأحداث الموجبة، وتبتعد عن المبررات السّالبة، مستوى لغتها الحوار الجامع، الذي لا يعتقد إلّا في الحُجَّة استنارة بين أطراف الحوار.

إنّها الشّخصيّة الاستنتاجيّة القادرة على الاستنباط المعرفي المجرد؛ حيث تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقلية أكثر من التجائها إلى التفسير المادّي المباشر؛ نتيجة لتجاوزها مستويات الذاتيَّة الاجتماعيَّة، ولبلوغها مستويات ذاتية تميل إلى الموضوعيّة، تنتهج الأساليب العلميَّة في سلوكها المعرفي وتعتمد في أحكامها على المعايير التي تمكّنِها من التمييز المستنير، إنَّها الشخصيّة الطموحة المتطلّعة للأفضل والأجود، وترى أنَّ التحصيل العلمي هو المؤدّي إلى الوصول إلى ما هو أجود أو أفضل؛ فتبني كل طموحاتها على هذا المبرر القيمي.

ومن هنا فالارتقاء استنارة مكانة يُمكن أن يكون الإنسان عليها خَلقا، ويمكن أن يكون عليها قيمة لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي والخُلقي، وفي المقابل هناك من يراه تطوّرًا يطرأ على الكائنات الحيّة؛ فيغيّر حالتها من دُنيا إلى عُليا، من خلال ما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات؛ ولكنَّ الجينات الخَلقيَّة لم تكن نتاج تكيف بيئي حتى تتبدّل وتتغيّر مع تغيّر البيئات، بل هي خاصّيّة خَلقيّة تحافظ على الأجناس، حتى وإن بلغ الإنسان من العلم ما بلغه؛ فلا إمكانيَّة له أن يغيّر الأجناس، وستظل الكائنات على ما هي عليه مختلفة، وإن لُعب بها جينيّا، ولكن تحسين وتجويد أنواعها أصبح في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع ارتقاء حتى النّهاية.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة؛ ولأنّه كذلك فالأمل لا يفارقه؛ ولهذا فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي استنارة، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنّها متطوّرة، نعتقد أنّ التطوّر يستوجب إرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوافرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم؛ ولذلك فالكائنات قابلة لأن تتغيّر وفقًا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعيَّة، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرّب أو عُلّم؛ فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقائه؛ فالإنسان

خُلق متميّزًا بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص بقية الكائنات وصفاتها.

ولذلك فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاءً يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج، وفي الوقت ذاته يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق في أحسن تقويم، فإنّه بعلّة المعصية والشّهوة والرّغبة قد انحدر هبوطًا منذ خلقه الأوّل، ومع ذلك منذ تلك اللحظة التي قُبلت فيها توبته، ظلّ آدم ومن بعده بنوه على الأمل في حاضرهم، ومع أنّه الأمل في الزّمن الحاضر، فإنّه يتعلّق ارتقاء بما هو ماضٍ (تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم)، وهو ما لم يتحقّق بعد.

ولذلك فالتطوّر يمكن أن يكون خاضعًا للمشاهدة مثل الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا يُصبح الارتقاء في دائرة الممكن يستوجب بحثًا علميًّا مضنيًا، وجهدًا ينجز وفقًا للأهداف المحدّدة، والأغراض التي من ورائها، والغايات المأمول بلوغها قمّة. وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعًا للملاحظة، مثل السّلوك وما يطرأ عليه من تغييرات مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم.

فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاؤه القيمي يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدًا من الاحترام والتقدير والاعتبار؛ وذلك بما يفسح له مجال

العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له تمدّدٌ على حساب الغير.

وهنا فالممكن ارتقاءً هو المتاح تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا، وهو ما يمكن بلوغه قدرة واستطاعة، وهو ما لم يكن مستحيلًا حتى وإن كان صعب التحقّق، وهو الذي ليس له وجودًا لو لم يسبقه وجود خَلق ونشوء، ومع ذلك وجوده لا يعدّ إن لم يلاحق الخَلق والنشوء ارتقاء.

ولأنّه الممكِن ارتقاء فهو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب، أمّا غير المتوقّع فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السَّابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتًا، ومن هنا ينبغي أن يتمَّ التعرُّف على غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقًا؛ ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة، أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها (50%)، والمتوقّع يمكن أن يكون سالبًا، ويمكن أن يكون موجبًا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقا لما هو

مأمول، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم وفقا لِما هو موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط؛ ولذلك فهم دائمًا يفاجئون؛ كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعا.

وعليه:

ينبغي أن تُرسم الخطط والسياسات والإستراتيجيَّات وفقًا لدائرة الممكن، التي تحتوي ما هو متوقع موجبًا وما هو متوقّع سالبًا، وما هو غير متوقّع موجبًا، وما وهو غير متوقّع سالبًا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلًا فعلى الإنسان أنْ:

ـ يفكّر فيما يفكّر فيه قبل أن يقرّر ويعمل.

ـ أنْ يخطّط لما هو غير متوقّع مثلما يخطط للمتوقّع.

ـ أنْ يعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس؛ حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

ـ أنْ يقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب ألّا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان وبين ارتقائه قمّة.

ومن ثمَّ فمن يرسم الخطط والإستراتيجيّات ويعدّ البرامج وفقًا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من

مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث؛ ولذلك فالزّمن الحاضر هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر، وهذا يعني: أنَّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرًا، أي إنَّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي الوقت ذاته يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرا، أي إنَّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي أن يره وكأنّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيًا له بحلولٍ حاسمة، وهكذا ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن يواجهه مغالبة، حتى لا يحدث وتحدث المفاجآت المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة ارتقاء.

فالممكن احتمالًا يسبق ما يمكن أن يكون محتملًا أو غير محتملٍ؛ ولهذا فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة الزّمان مسجّلًا؛ فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل، ومن ثمّ يظل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء

يعود إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل؛ إذن فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلا، وعندها يدرك الإنسان أنّه في حاجة لمزيد من الارتقاء، ومع أنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكنٌ، فإنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدرته ومحدوديّة إمكاناته، وعلى الرّغم من ذلك فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي.

ولهذا فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنٌ؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع المستقبل ارتقاء يستوجب الآتي:

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم الضّروريَّة؛ ليعيشوا حياة تعليميَّة وصحيَّة واقتصاديَّة مرضية.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي فيها يتمكّنون من إشباع حاجاتهم للمشرب والمآكل والملبس والتنقّل، وإلا سيظلون في عازة ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهية الاجتماعيَّة وصنع المستقبل ارتقاء.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّروريّة، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكماليَّة المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا يعدّ حاجة ضرورية في الزّمن الماضي أصبح من الأولويات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائمًا على هذه الحالة ارتقاء.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدميَّة والإنتاجيّة وهيئاته وشركاته لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر الاجتماعي.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وظروفهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، التي قد لا تمكِّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمروا كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعيَّة إلى الانفتاح على الآخرين، والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية، وتعلمها والأخذ بأسباها.

. تنمية روح الطموح والتّجدد لدي أفراد المجتمع؛ حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب بناء الذّات ودخولها ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوّرة؛ ليكوّنوا علاقات موجبة معها، حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغير الاجتماعي والإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتية؛ لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانية شاملة.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أخذ ما هو نافع وترك ما هو غير نافع؛ فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع؛ فيجب التمييز قبل الإقدام.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها: (أنّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين؛ حتى يتمكّنوا من العيش برفاهيَّة واستجمام.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع لأخذ المفيد للحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسية، والإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوِّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجِّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، ومحققات الرّفاه الاجتماعي.

. التأكيد على أهميَّة بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعيَّة، ويحقّق لهم أبعادًا إنسانية في المجالات الاقتصادية والسياسية والنفسية والذّوقية والثقافية.

. تحريض مؤسّسات المجتمع على اختيار المعروض الأجود ممّا وصل إليه التقدّم العلمي والتقني، والإقدام على تطويره؛ فالقوّة المبدعة في العالم لن تنتظر وستواصل التقدّم والتطوّر؛ فعلى مؤسسات المجتمع وهيئاته وشركاته دخول ميادين السّباق العلمي وإلّا سيظل المجتمع قعيدا في مؤسّسات الرعاية الاجتماعيَّة؛ ذلك لأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، ولأن إشباع الحاجات ضرورة إنسانيَّة، تأسست هيئات وجمعيَّات ومؤسّسات دوليّة إنسانيّة لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أو جماعات منها.

ولذا تأتي المخاطر أو تظهر الإشكاليّات من فقدان مشبعات الحاجة المتطوّرة، ولا يتحقّق الأمن والاستقرار والرّضا الاجتماعي إلا بالإشباع؛ فالجوع والخوف والإكراه والانحرافات ذات علائق، وفي المقابل الإشباع والأمن والرضا هي الأخرى ذات علائق.

ولذا يستقرّ البلد باستقرار أمنه، وارتقاء اقتصاده، وشفافيّة نظامه، وقوّة إرادة شعبه، وهيبة مشبعات حاجاته؛ ولذلك فإشباع الحاجات ضرورة فطرية وغريزية.

إذن من باب الضرورة والوجوب لا مفر من إشباع الحاجات البشريَّة المتطوِّرة عبر الزّمن، ومن يُهمل أو يغفل عن ذلك يجد نفسه في حالة مواجهة مع الذين فقدوا مشبعات حاجاتهم.

وعليه فالقاعدة هي:

ـ تطوّر الحاجات.

ـ تطوّر المطالبة بها.

ـ تطوّر مشبعاتها.

ـ تطوّر أساليب الإشباع.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (188) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31. إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32. شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33. يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34. داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35. يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36. أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37. موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38. عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39. محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58. من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59. من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60. من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61. من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62. من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63. من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64. من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65. من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66. من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94. إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95. إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96. يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97. يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98. شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99. أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101. يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102. موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيّة النّاهضة (مجالاتها عمليّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشّخصيّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشّخصيّة الليبيّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشّخصيّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيّة النّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشّخصيّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكّر إلى التفكّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (مِنَ الاستظلامِ إلى الاستجلاءِ)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (188) مؤلّفًا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/